دكتور
محمد رأفت سعيد
الأستاذ المشارك بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
وكلية الآداب - جامعة المنوفية

الالتزام
في التصور الإسلامي للأدب

دار الهداية
للطباعة والنشر والتوزيع

ملتزم التـــوزيع
دار الصحوة للنشر والتــوزيع
٧ شارع السراى ـ المنيل

دار وهدان للطباعة والنشر
٦ سبيل بركة الرطلي - الفجالة - القاهرة ت ٩٠٥٦١ - ٩٢١٤٤٤

الالتزام

في التصور الإسلامي للأدب

دكتور
محمد رأفت سعيد
الأستاذ المشارك بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
وكلية الآداب - جامعة المنوفية

دار الهداية
للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعـة الأولى

١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٧ م

« بسم الله الرحمن الرحيم »

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، وعلى آله واصحابه ، ومن سلك سبيله .. وبعد

فقد شفى نفسى ، وابرأ سقمها عقد ندوة للأدب الاسلامى فى رحاب جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، لابراز مفهوم الأدب الاسلامى، والوقوف على خصائصه ، وكيفية الوصول الى بثه ونشره ، والتركيز على مجالاته ، واحياء النقد الذى يراعى قيم الاسلام فى نظرته الى العمل الأدبى ، وذلك لتسليمنا بأثر الأدب ، وخطورته ـ ايجابياً وسلبيا ـ ووصولا الى التصور الاسلامى الصحيح فى قضايا الأدب والنقد فى وقت ذاعت فيه تصورات مخالفة لها آثار لا نرتضيها فى مجتمعاتنا المسلمة .

ومن الموضوعات المطروحة للبحث ، والتى انشرح صدرى لمعالجتها موضوع « الالتزام » الذى استعمل ـ فى الأدب بصورة موسعة وصل الأمر فيها الى الزام الأديب بما لا يلزم . ولذلك أخترت هذا الموضوع لبحث مفهوم « الالتزام » وماذا يلتزم فى الأدب ؟ ..

وتصورات الناس عن الالتزام ، ومجال الالتزام الأدبى شعرا ونثرا ، ومعنى الالتزام الثقافى فى الأدب بالرؤية الاسلامية ، وامكانية ذلك ، وكيفيته ، وكيف تناول النقاد قضية « الالتزام » بالدراسة ؟ .

وأسأل الله أن يكون ذلك اسهاما مثريا ، ولبنة نافعة فى صرح أدب يصبغ بالصبغة الاسلامية ، « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون » (١) .

وأسأله سبحانه التوفيق والسداد ..

---

(١) سورة البقرة /١٣٨ .

الالتزام ، لغـــة ، واصطلاحا :

يقول ابن منظور فى مادة « لزم » : « اللزوم معروف والفعل لزم يلزم»(٢) ويقول : « .. والالتزام الاعتناق » (٣) .

ويقول الزمخشرى فى المـــادة نفسها .. والتزم الأمر ، ويقول : « ومن المجاز : التزمه : عانقه » (٤) .

وفى المعجم الوســـيط (٥) :

« التزم : الشيء أو الأمر : أوجبه على نفســـه ، وفلان للدولة : تعهد ان يؤدى قدرا من المال لقاء استغلاله أرضا من املاكها .. فهــو ملتزم » (٦)وفى معجم المصطلحات العلمية والفنية :

« يقال : التزم الأمر : أوجبه على نفسه » أخلاقيا : أخذ الانسان نفسه بما يمليه القانون الأخلاقى .

وفى الفلسفة الوجودية : ارتباط بتعديل الحاضر لبنـاء المستقبل ولا يتحقق الا بالحرية قال سارتر :

« إن الحرية هى القدرة على الالتزام بالعمـــل الحالى وبنــاء المستقبل ، وهى تخلق مستقبلا يتيح لنا فهم الحاضر وتغييره » .

وفيه : « لزوم أو التزام ، أو استتباع = وجـــود ما يوجد عنه على سبيل لزوم لوجوده وتبعه لوجوده ، لأن كونه عن الأول انما هو على سبيل اللزوم .

وفى هذا التعـــريف للالتزام نرى أنه يتناول الجـــانبين الحسى والمعنوى من الانسان ، فالانسان يتعهد ان يؤدى قدرا من المال لقـــاء استغلاله أرضا من أملاك الدولة فهو ملتزم .

---

(٢) اللســـان ١٦/١٤ .

(٣) اللســـان ١٦ /١٥ .

(٤) أساس البلاغة /٥٦٤ .

(٥) المعجم الوسيط ٢/٨٣٠ .

(٦) معجم المصطلحات الفنية /٦٠٩ .

وهذا المعنى الحسى يتضمن ـ أيضا ـ معنى الالزام ، وقريب من معنى الالزام أن نقول ان الانسان أوجب على نفسه أمرا معنويا ، لأن هذا الايجاب يشعر بأن الانسان مازال فى صراع مع نفسه نحو هذا الأمر الذى يوجبه على نفسه .

ونظل فى قرب من معنى الالتزام مادمنا فى دائرة هذا الصراع مع النفس ، فاذا ما ظفرنا فى نهاية الصراع بأن الأمر صار ممتزجا بالنفس وصارت النفس متعانقة مع هذا الأمر ، بما يصاحب هذا الاعتناق من طمأنينة ، وحرارة الرضا به ، صرنا الى معنى الالتزام الحقيقى الذى نحتاجه فى حديثنا عن الأدب برؤية اسلامية . وهذا هو المجاز الذى يصيب الحقيقة ، أو هو حقيقة الكلمة فى المعنى الذى نريده ـ هنا ـ والذى جعله الزمخشرى مجازا للكلمة حيث يقول :

« ومن المجاز : التزمه : عانقه » (٧) .

وأما ابن منظور فيذكر ذلك لا على سبيل المجاز وانما يقول :

« والالتزام : الاعتناق » (٨) ..

ماذا يلتزم فى الأدب ؟ ..

فاذا كان هذا هو معنى الالتزام فماذا يلتزم فى الأدب اذا نظرنا اليه برؤية اسلامية ؟ .

ولكى نجيب عن هذا السؤال لابد أن نناقش بعض الأمور منها : ما طبيعة الأدب بصورة عامة ؟ .

وما عمل الأديب عندما نقف على أثر أدبى له من شعر أو نثر . من قصيدة ، أو قصة ، أو مسرحية ، أو مقالة ؟ ..

طبيعة الأدب : ونرى من الاجابة عن هذين السؤالين أن الأدب تعبير موح من قيم حية ينفعل بها ضمير الفنان (الأديب) (٩) .

---

(٧) أساس البلاغة /٥٦٤ .

(٨) اللسان ١٥/١٦ .

(٩) انظر تعريفات للأدب فى « النقد الأدبى للاستاذ سيد قطب ص ٧ وفى التاريخ فكرة ومنهاج للاستاذ /سيد قطب ص ١١ ، وأنظر الأدب المقارن . د. محمد غنيمى هلال /٥ ـ ٦ ، وأنظر الاتجاهات الأدبية الاستاذ انيس القدمى ٩ ـ ١٢ ، وأنظر الفن ومذاهبه فى الشعر العربى د. شوقى ضيف /١٣ ـ ١٤ ، وأنظر فى النقد الأدبى . د. شوقى ضيف /٦٩ ـ ٧٠ ، وتاريخ آداب العرب للرافعى ٣١/١ ـ ٣٧ .

ويكون عمل الأديب اذا هو التعبير الفنى ـ فى شكل من الأشكال الادبية ، وفى جنس من أجناسها ، فى قصيدة شعرية ، أو فى عمل نثرى عن تجارب شعورية وانفعال بقيم حيـة .

وعندئذ يكون العمل الأدبى مظهرا للاديب ، وبمعنى آخر نتعرف من العمل الأدبى على طبيعة الأديب ومكنوناته ، دون أن يشعر بذلك .

الالتزام الثقــافى :

ومعنى هذا ان الأديب يعبر عن انفعاله ، وان هذا الانفعال تابع لتصوراته عن الأمور ، وعن الاشياء وهذه التصورات ـ للكون من حوله وللاشياء مرتبطة بتكوينه الثقافى وما بنى عليه بناء يجعله ملتزما بهذه التصورات ومعبرا ـ دون تكلف ـ عن هذه الأفكار ـ التى استقرت فى وجـدانه ومن هنا يكون مضمون الالتزام فى الأفـكار التى اسـتقرت فى وجدان الأديب وملكت مشاعره ، وفى تصوراته المرتبطة بهذه الأفكار تصوراته عن الكون ، وعن الحياة ، وعن الناس ، والعلاقات الاجتماعية تصوراته عن النفس الانسانية ، وعما يصيبها من آمال وآلام ، وأفراح وأحزان .

ولما كان الناس مختلفين فى هذه الأفكار ، وفى هـذه التصورات وجدنا . ما يلتزم به مختلفا ، فمضمون الالتزام عند قوم ليس هو عند آخـرين .

يضيق عند قوم ، ويتسع عند آخرين ، يراد من الاديب عند قوم ان يلتزم بأدبه فيكون « الفن للفن ، والشعر للشعر » فلا التزام الا بهذا ويراد من الأديب عند آخرين أن يتلزم بقضايا مجتمعـه وآلام أمته ، ويراد من الأديب أن يلتزم بتصوير الواقع والتعبير عنه كما هو ، ويراد منه عند آخرين أن يتجاوز سوءات الواقع ليحمله الى الافق السـامى وأرى أن هذا كله يدخل فى مفهوم « الالزام » ولو كانت القضايا قضايا حق ، ولو كان الأديب سيأخذ بيد أمته الى الأفق العالى .

وانما يكون « الالتزام » فى أن يعيش الأديب نفسه هذه القضايا وأن ينفعل بها ، وأن يعبر عنها دون أن يقال له ذلك .

وأن يكون الأديب نفسه صاحب فكرة اعتنقها وخالطت قلبه وصار يصدح بهـا .

وان يكون الأديب ذا تصورات عن الوجود وعن الكون وعن الحياة لا تتخلف هذه التصورات ، وهذه الأفكار اذا عبر عن أى موضوع ، واذا تكلم فى أى جانب من الجوانب .

ويستلزم هذا ان نبحث أولا ـ عن الانسان ومكوناته الثقافية قبل ان نبحث عن التزامه :

فالانسان ذو الثقافة ينظر الى الامور نظرة تنسجم مع ثقافته ، ولذلك إن أردنا انسانا ملتزما فلننظر الى الثقافة التى ينتمى اليها ، ليس لتحكيمها فى تحليل العمل الأدبى فحسب ، وانما لمعرفة التزام الأديب ، أو افتعاله .

فاذا أردناه ملتزما بالثقافة الاسلامية ، فان معنى ذلك أن الأديب قد حصل من المعارف الإسلامية الضرورية ما يكون لديه منظارا خاصا ينظر به الى الأشياء ، والى الامور .

وبمعنى آخر ينصهر فى الاديب ما حصله من هذه المعارف اليقينية ويصبح مزيجا متناسقا يجرى فى كيان الأديب مجرى الدم ، فلا يستطيع الأديب فى حركته الأدبية أن ينفك عنه .

انه ينبض بهذا التصور فى حياته كلها ، وتفاعله مع الحياة ، ومع الكون ، ومع الناس مرتبط بهذا التصور الشمولى الذى جاء به الاسلام .

والاديب فى هذا الجانب الثقافى ـ يستوى مع غيره ممن يحصل هذه المعارف الاسلامية ويتفاعل معهـــا ، ويعتنقها ، ويزيد من هؤلاء فى أنه عند تفاعله مع موقف من المواقف يعبر عنه تعبيرا أدبيا يلتزم فيه بالضوابط الفنيـــة .

فيجمـــع فى التزامه بين الفكرة الصافيـــة والصياغة الفنية ، وان اقتصر على جانب واحـــد لا نستطيع أن نلقبه بالأديب الملتزم بثقافة الاسلام ، لأنه ان كان صافى الفكرة دون أن يلتزم بالتعبير الفنى الموحى لا نسميه الا مثقفـــا .

وان الالتزام بالصياغة الفنية وتناقض مع ثقافة الاسلام لا نسميه الا فنانا فى صناعة الكلام الذى يوصف بمضمونه .

اما الأديب الملتزم التزاما ثقافيا برؤية أسلامية فهو الأديب الذى يعبر عن المفاهيم الاسلامية ، أو الافكار الاسلاميـــة ، أو التصـــورات الاسلامية الشاملة لجوانب الحياة كلها تعبيرا فنيا رائعا • فاراه ملتزما وهو يتحدث عن العقيدة ، وأراه ملتزما وهو يتحدث عن العبادة وأراه ملتزما وهو يتناول علاقة الانسان بأخيه الانسان • وأراه ملتزما عندما يعبر عن الحياة ، وعن المعاناة ، وعن فرحه وحزنه ، وانشراحه وغمه ، وأراه ملتزما فى وصـــفه ، وفى تحليله للمواقف ، وأراه ملتزما عندما يتكلم عن علاقته بالانثى ، وعلاقته بابنـــائه ، وأراه ملتزما فى وقفته امام أحداث زمن ، وقضايا أمته ، لانه انسان مسلم مثقف كغيره فى هذا الجانب ، ومع ثقافته أديب ينفعل ويستطيع اخراج انفعالاته شـــعرا عذبا ، أو رواية ، أو قصة ، أو مسرحية ، أو مقالا •

على اننا لا نجعل مفهوم الالتزام بهذا المعنى لقبا نلقب به أديبـــا فنقول انه أديب ملتزم ويكون كل انتاجه الأدبى ملفوفا بهذا الســـاتر الحريرى •

ولا ينبغى ان يكون الالتزام لقبـــا مضللا ، بل يبقى حكم الأديب فى حكم الانسان الذى لا تستوى أعماله كلها • ويبقى حكم الالتزام خاصا بكل عمل على حدة •

فان كان ملتزما فى هذا العمـــل بالجانبين ، بثقافة الاســـلام ، وبالصياغة الفنية قلنا انه أديب ملتزم فى هذا العمل •

بل الأمر أدق من ذلك فنستطيع أن نقول ان العمل الواحد لا ينبغى أن نخصه منذ البداية بلقب الالتزام فيه جملة ، فان كان العمل يتمثل الوحدة العضوية فلا نستطيع أن نجزىء حكمه ، ولكن ان كان العمل لا يقوم على وحدة عضوية من أوله الى أخره فيبقى الالتزام خاصـــا بجزئيات العمل فقد يكون ملتزما فى جانب وغير ملتزم فى جانب آخر ••

ولكن يتضح ما قررناه هنا نتناول مجمـــوعة من المباحث التى تجلى لنا الموقف ، وبخاصة فى دائرة الشعر حيث يدور الخلاف حول امكانية الجمع فيه بين مضمون خلقى ، أو دينى ، والصياغة الشعرية •

فماذا قيل فى هذا الموضوع ؟ ••

الناس وقضية الالتزام :

لقد تكلم الناس فى قضية الالتزام فصار واكشانهم فى فكرهم الى مشرق ومغرب ، فالواقعيون الماديون لا يفرقون فى قضية الالتزام بين الشاعر والناثر فترى « الواقعية الاشتراكية » وجوب التزام الشاعر شأنه فى ذلك شأن الناثر . فالشعر هو الحقيقة فى صورة من صور التامل . والشاعر يفكر وان يكن تفكيره فى شكل صور ، وهو لا يبرهن على الحقيقة ، ولكنه يجلوها ، وبهذا يظهر للعيان مالا يراه سواء ، فالشاعر لا يصف الناس على ما يجب أن يكونوا عليه ، بل كما هم عليه . فالشعر الحديث فى نظر هؤلاء هو شعر الحقيقة ، ولهذا لا يجعل الخيال فى الشعر اذا كان كذبا أو متجاوزا نطاق المحسوس والمعقول ، والشكل والمضمون يجب أن ينسجما فى الوحدة الفكرية ليدلا على الجمال . والجمال منحصر فى الحياة والحقيقة . فجمال الشعر أن يصادف الانسان معانيه فى الحياة ، لا أن يخلقه الفنان خلقا من تلقاء نفسه . والفن للفن يجعل من الشعر والأدب عامة فنا محايدا مستهترا بما يدور من معانى الصراع فى سبيل اقرار الحرية . ولكن الشعر الحق هو الذى يرتبط بالكفاح لتحرير الشعوب ، فليس الشعر مقصورا على حدود اللذة الجمالية ، ولكنه يجب أن يخدم قضايا الانسان ـ كما يفهم من الخدمة ـ أنبل ما تكون وأشمل ما توجد . فمضمون الشعر والفن هو المصلحة العامة ، وهى نفعية ، ولكنها نفعية أحلت القيم الاجتماعية محل القيم الفردية المحضة ، فكان الشعر سلاحا من أسلحة اقرار العدالة الاجتماعية وقد اتخذ الشعراء لهم موقفا يتفق وحريتهم فى الخلق والابداع ولكن فى داخل قفص النفعية والالتزام ، فصارت أجنحتهم مراوح ، وارتبط خيالهم بملابسات المجتمع المادية التاريخية » (١٠) .

«وقد ظهرت دعوة» التزام الشاعر فى فرنسا بتاثير الواقعية الاجتماعية الجديدة حوالى عام ١٩٣٥م وكانت فى تفاصيلها صدى مباشرا لاداء « ما ياكوفسكى » الذى دعا الى أن الشرط الأساسى لنتاج الشاعر هو « ظهور مسالة من مسائل المجتمع لا يتصور حلها الا باسهام الشعر فى حلها » (١١) .

فهذه الواقعية تجعل الشعر ذا غاية اجتماعية واقعية محددة بحدود مسائل العصر وعلى ذلك يستوى الشعر والنثر .

---

(١٠) النقد الأدبى الحديث د. محمد غنيمى هلال /٤٨٤ و ٤٨٥
(١١) المرجع السابق /٤٨٥ و ٤٨٦ .

الوجوديون والالتزام : وفى الطرف المقابل نجد « الوجوديين » ـ ويلقب أدبهم بادب التزام) ٠

التفريق بن النثر والشعر : يفرقون بين الشـــاعر والنـــاثر اذ ان الشاعر يستغرق فى تجربته ويراها من خلال وجدانه ، ويستعمل لغـــة موسيقية ايحائية ليصور هذه التجربة تصويرا تصير به شيئا من الأشياء ، مثل لوحة الرسام ، ولا يقصد الشاعر الا تصويرها على طريقته ، فتظل تحدث أثرها الجميل عن ذلك الطـــريق ، وهو حر فى اختيـــارها ، كحريته فى طريقة تصويرها ، ثم انها بطبيعتها تمر من خلال شعوره الفردى ٠

ولغتها « كثيفة » أى مقصودة لذاتها ، لا تشف فى يسر عما وراءها كما يشف النثر ـ فلا يصلح ـ اذن ـ أن يلتزم الشـــاعر بما يلتزم بـــه الناثر ، على حين هما مختلفان فى طبيعة التعبير عن تجاربهما الأدبية والشاعر ٠ فى طبيعة عمله ـ يتخذ الموقف وسيلة لرسم الصورة الشعرية على حين يعده الناثر الغاية من كلامة ٠ والشاعر لا يسخدم اللغة أداة ، بل لنا أن نقول : انه لا يستخدم الكلمات بحـــال ، ولكنه يخدمها ٠ فالشعراء قوم يترفعون باللغة عن أن تكون نفعية ، وحيث ان البحث عن الحقيقة لا يتم الا بواسطة اللغة واستخدامها اداة ، فليس لنا ـ اذن ـ أن نتصور أن هدف الشعراء هو استطلاع الحقائق أو عرضها ، ولكن الناثر ـ دائما ـ وراء كلماته ، متجاوز لها ، ليقرب دائما من غايته فى حديثه أما الشاعر فهو دون هذه الكلمات لأنها غايته والكلمات للتحدث خادمة طيعة ، وهى لدى الشاعر عصية ، أبية المراس ، لاتزال على حالتهـــا الوحشية ، لم تستأنس بعد » (١٢) ٠

فالوجوديون يتركون للشـــعر الوجدانى ميدانه الحـــر الطليق ولا يقيدونه بالالتزام والواقعيون الماديون يرون التزام الشاعر والناثر على حد سواء ـ ولكن بقضايا قومه ، ووصف الناس كما هم ٠ واذا كان التزام الواقعيين محدودا بقضايا قومه ، وواقع مجتمعه ، فان هـــذه الحدود تحيل الالتزام الى الزام ٠

واذا كان التزام الوجوديين يفـــرق بين النثر والشـــعر ، فان هذا التفريق لا مبر له ـ ولو اتخذت للغة وسيلة للتغريق ـ لأن النثر والشعر

---

(١٢) النقد الأدبى الحديث /٤٨٧ ٠

مرتبطان بالانسان الأديب ، والالتزام لا يعرف من مصدر واحد الى جهة ولا يظهر فى أخرى ، وكلا الجانبين أثر لمؤثر واحد هو ذلك الكيان الانسانى .

التصور الاسلامى فى ذلك : ولذلك ترى التصور الاسلامى لهذه المسالة تصورا مقتنعا حيث يجعل حكم ما يصدر عن الانسان فى جانبه البيانى واحدا ، لأن الشكل التعبيرى فى الشعر لا يعطيه حرية التحلل من الالتزام .

ولذلك نجد قول النبى صلى الله عليه وسلم « حسن الشعر كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام » (١٣) .

وروى عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الشعر بمنزلة الكلام حسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام » (١٤) .

وروى عن ابن سيرين أنه أنشد شعرا فقال له بعض جلسائه : مثلك ينشر الشعر يا أبا بكر . فقال ، ويلك يا لكع ، وهل الشعر الا كلام لا يخالف سائر الكلام الا فى القوافى ، فحسنه حسن ، وقبيحه قبيح » (١٥) .

وقال الامام الشافعى : « الشعر نوع من الكلام حسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام » ويفسر القرطبى هذا فيقول : « يعنى أن الشعر ليس يكره لذاته ، وانما يكره لمضمناته » (١٦) .

وعلى هذا يكون الشعر فى التصور الاسلامى ـ يالنثر مرتبط بمضمونه ، فان كان المضمون موافقا للتصور الاسلامى ، ومراعيا للصياغة الفنية كان الالتزام الثقافى فى الأدب .

---

(١٣) رواه اسماعيل بن عياش عن عبد الله بن عون عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم وحديث اسماعيل عن أهل الشام صحيح فيما قال يحيى بن معين وغيره . أنظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٧/١٥٠ .

(١٤) المرجع السابق ٧/١٥٠ .

(١٥) المرجع السابق /١٤٨ .

(١٦) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٧/١٥١ .

وهذا ينسجم مع النظرة الصحيحة لطبيعة النشاط الانسانى الذى لا يستقيم تقسيمه وتجزئته بلا مبرر معقول .

ولذلك نجد أن العلماء المسلمين رأوا أن المضمون الشعرى يأخذ أحكام الجواز والكراهة والتحريم عند تفسيرهم لقوله تعالى : «والشعراء يتبعهم الغاوون . ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » (١٧) .

فيذكر القرطبى : « أن من الشعر ما يجوز انشاده ، ويكره ويحرم . روى مسلم من حديث عمرو بن الشريد عن أبيه قال : ردفت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال : « هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء ؟ » .

قلت نعم . قال : « هيه » فانشدته بيتا . فقال : « هيه » ثم انشدته بيتا . فقال : « هيه » حتى أنشدته مائة بيت » .

ونص هذا دليل على حفظ الأشعار والاعتناء بها اذا تضمنت الحكم والمعانى المستحسنة شرعا وطبعا ، وانما استكثر النبى صلى الله عليه وسلم من شعر أمية ، لأنه كان حكيما ، الا ترى قوله عليه السلام « وكاد أمية ابن أبى الصلت أن يسلم » .

المعانى المستحسنة شرعا وطبعا :

وقبل أن نتائبع الاحكام التى ذكرها القرطبى نلفت الانتباه الى قول القرطبى فى مضمون الشعر الذى يعتنى به ، أى فى الشعر الملتزم من جهة المضمون وهو الذى يتضمن الحكم والمعانى المستحسنة شرعا وطبعا .

فالمعانى المستحسنة شرعا هى المعانى التى يدعو اليها الشرع من أمور العقيدة ، والعبادة ، وصالح الأخلاق ، وهى فى ذاتها مستحسنة طبعا ، والمعانى المستحسنة طبعا لها سند من الشريعة اذ كل أمر على

---

(١٧) سورة الشعراء / ٢٢٤ ـ ٢٢٧ .

الفطرة سيتحسن شرعا ، وبمعنى آخر نستطيع أن نقول أن مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم كما حددها القرآن الكريم من جهة التشريع تظهر فى قوله تعالى : « ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم » (١٨) ٠

فالطيبات كلها فى دائرة الحل وهى مستحسنة طبعا والخبائث كلها فى دائرة وهى مستقبحة طبعا ٠

فالتفرق ـ هنا ـ بين المستحسن شرعا والمستحسن طبعا ليس يسيرا ٠ الا اذا قلنا أن المعانى المستحسنة شرعا ٠ هى ماجاء بشأنها أمر صريح واما المستحسنة طبعا فهى الأمور التى يستحسنها الطبع ، ولا تخالف الشرع ، وليس فيها امر ونهى مباشرين ، كأن يقف الأديب ماخوذا بمنظر كونى بديع فيعبر عن ذلك تعبيرا فنيا مؤثرا ٠

وان قال قائل ان هذا له وجه شرعى فى قوله تعالى :

« قل انظروا ماذا فى السماوات والأرض »(١٩) ٠

قلنا : ان هذا الفصل الدقيق بين الأمرين عسير ـ كما أسلفنا ـ ولكن يبقى هذا الأمر متميزا لدى الأديب عن النظرة العجلى لغير الأديب ، فان نظر الأديب سيمنحه معانى فى الوصف تستحسن طبعا ، فى ابراز النظام والتنسيق ، وروعة المشهد ، وحسن التركيب حتى لكانك تشاهد وتسمع آيات الجمال والابداع ٠

وهى فى الوقت نفسه توقظ النفس من سباتها لتتفتح وتستنشق الحياة لأن الجمال ، والاحساس به « من أوسع المنافذ الى النفس ٠٠ تهش له بفطرتها ، وتلتقى روحها بروحه فى أخوة واستجابة واشتياق »(٢٠) ٠

ولذلك يلتقى الاستحسان طبعا والاستحسان شرعا فى هذا الجمال الكونى البديع ٠

الم تر ان القرآن الكريم حافل بالدعوة للانسان أن يفتح بصيرته

---

(١٨) سورة الأعراف / ١٥٧ ٠
(١٩) سورة يونس/١٠١ ٠
(٢٠) منهج الفن الاسلامى/٢١٢ ٠

على آيات الله فى الكون .. فى اسلوب اخاذ ياخذ بمجامع النفس ، ويوقظها من الفها وعادتها فتتفتح للكون كأنه جديد(٢١) .

الجمال والتناسق والنظام :

فاذا وجدنا الأديب قد جارى الناموس الكونى فى جماله وتناسقه وتوازنه .. ويهدف الى انشاء انسان صالح ، انسان يتوافق من ناموس الكون ، لا يشذ عنه بطريق الانحراف ، ويتخذ وسيلته الى ذلك عرض « الجمال » « والقبح » بمعناهما الواسع ومجالاتهما الشاملة : فى المشاعر والأفكار والشرفات والسلوك ، بحيث تشتاق النفس فى النهاية الى الجمال ، وتنفر من القبيح ، دون أن تحس « ضغطا » فى هذا الاتجاه أو ذاك »(٢٢) .

كان أديبا ملتزما بالتصور الاسلامى للانسان والكون والحياة ، لأن جمال الكون من أروع الوان الجمال التى تهش لها النفس وتستجيب لها فى فرحة وانطلاق ، ولكن الالف والعادة يفسدان التطلع الى ذلك الجمال الفذ ، فتتبلد الحواس لما ترى وما تسمع ، وتمر بكل شىء كأنما لا وجود له وتنسى بحكم التعود أنه رائع « وانه جميل ، وعندئذ لابد من ايقاظ النفس من سباتها لتتفتح و « تستنشق » الحياة :

وهذه مهمة الأديب الملتزم ، الذى يهمه أن يوقظ النفس من تبلدها لتتفتح وتستنشق الحياة ، فان الانسان حين تدرك حسه البلادة ينحصر فى دائرة ضيقة رتيبة خاملة لا تنبض فيها الحياة ، ومن شان ذلك أن يفسد نفسه جميعها ، فالنفس المتبلدة لا تجيش لحمل أمانة الخلافة فى الأرض ، ولا تنزع الى الخير ، ولا تامر بالمعروف ، ولا تنهى عن المنكر ، ولا تبنى ، ولا تنمى ، ولا تحور ولا تبدل فى هذه الأرض ، لأن ذلك كله حركة جياشة فعالة مريدة ، والحركة لا تنشأ من التبلد ، والجيشان لا ينبع من الخمول .

فمن أجل خير هذه النفس وصلاحها ، ومن أجل رفع الحياة البشرية وترقيتها يسعى القرآن الكريم الى تحريك هذه الحواس المتبلدة

---

(٢١) انظر المرجع السابق/٢١٣ .
(٢٢) أنظر المرجع السابق/٢٣٠ .

لتنفعل بالحياة فى أعماقها ، وتتجاوب تجاوبا حيا مع الأشياء والاحياء .

وهنا يلتقى المستحسن شرعا بالمستحسن طبعا فى أروع صورة فى ثنايا القرآن الكريم(٢٣) .

ويصبح الأديب الملتزم بهذه الرؤية فى مجال واسع جدا لتصوير الحياة البشرية فى شتى حالاتها ومجالاتها ، وتصوير النفس البشرية فى شتى انفعالاتها وتقلباتها ، وتصوير القيم الانسانية فى شتى مستوياتها ودلالاتها .. معنية كلها بنواميس الوجود ، وبفكرة « الجمال » الأصلية العميقة فى بنية الكون والحياة والانسان .

مجال تلتقى فيه « الحقيقة » الكونية « بالجمال » الكونى ، بلا تعارض ، ولا اصطدام ، لأنه لا تعارض فى فطرة الكون بين الحقيقة والجمال(٢٤) .

ومعنى ذلك يصبح الأديب الملتزم برؤية اسلامية الى الكون والحياة والانسان فى سعة ، وبتعبير آخر لايكون الالتزام بهذه الرؤية تضييقا على الأديب ، أو الزاما له .

انه فتح للافاق الواسعة ، يعيش فيها الأديب مع الجمال فى الكون والجمال فى الانسان ، لأن مقاييس الجمال فى الانسان هى ذاتها مقاييس الكون كله يقول الأستاذ محمد قطب وهو يرسم منهج الفن الاسلامى : « فحياة الانسان لا تكون جميلة — بادىء ذى بدء — الا اذا كانت « نظاما » طليقا من « الضرورة » .

نظاما ، فالفوضى المنفلتة من كل قيد ليست جمالا ، ولا كذلك الحياة فى داخل قيود الضرورة .

الفوضى صورة من صور الوجود لا يعرفها الكون ولا يعترف بها ناموس الوجود . فكل شىء فيه منظم منسق موزون .

والقيد القاهر صورة من صور الوجود لا يعرفها الكون كذلك ، ولا يعترف بها ناموس الوجود ، لأنه خالى من عنصر الضرورة فى خلقه وفى نظامه سواء .

---

(٢٣) أنظر منهج الفن الاسلامى/٢١٢ و ٢١٣ .
(٢٤) أنظر منهج الفن الاسلامى/٢٣٠ و ٢٣١ .

وانمـا هو النظـام ... النظـام الدقيق الذى تتوازن فيه القوى وتتناسـق الطاقـات ، ويخرج منهـا كيان مترابـط ، حى متحرك ، طليـق ..

وحين ينفلت الانسان من كل قيد .. اجتماعى ، او اقتصادى ـ او انسانى وينطلق يستجيب لكل هوى فى نفسـه وكل نازعة .. فانـه من ناحيته لا يعود انسانا ، لأن الانسان ذو قوة ضابطة يستخدمها بوعيه وارادته لتنسـيق الحيـاة الانسانيـة ، واتساق التوازن فيهـا ، ذلك التوازن الذى يقتضى الا تصطدم أهواء الناس ، ولا يتفكك المجتمع ، ويتحمل نتيجة الشرود كل واحد من أفراده على هواه .

ومن ناحية أخرى يكون خارجا على ناموس الكون ، الذى لا تشرد افلاكه على هواها ، ولا تنفلت مما يربطها بغيرها من الأفـلاك من رباط جاذب متين .

وحين يعيش الانسان حياته فى داخل نطـاق الضرورة : ضرورة الطعام أو الشراب أو الجنس .. لا يرتفع عنها الى مستوى « المشاعر النفسـية » والعواطف والادراك والوعى ، فان من ناحيتـه لا يعود انسـان ، لأن الحيوان وحـده هو الذى يعيش ضروراتـه على هـذا النحو ، لا يتصرف فيها ولا يختـار موقفه منها ، ولا يدرك بوعيـه أهدافها ، ولا تصاحبها فى « نفسه » مشاعر ولا عواطف ولا أفكار ، ومن ناحية أخرى يكون خارجا على ناموس الكون ، الذى لا تتحرك أفلاكه على هـذا النحو المبين لضرورة قاهرة ، وانما عن اختيار من خالقها ، وعن تجـاذب حى بينها ، يشبه عواطف الاحياء .

ومن ثم يتعين الجمال فى الحياة الانسانية بصفة عامة انه نظـام مطلق من الضرورة . هـذا النظام يقتضى موازنة الكيان البشرى كله فى داخل النفس وفى واقع الحياة .

يقتضى فى داخل النفس الا يصبح الانسان جسدا وحده ، أو عقلا وحده ، أو روحا بمفردها ، انما كيانا واحدا ينتظم كل هؤلاء .

فحين تغلب على الانسان شـهوة الجسـد الغليظة . أو تأملات العقل المنقطعة عن واقع الأرض ، أو سبحات الروح التى تعزل الانسان عن الواقع وتحوله الى سلبية لا أثـر لها فى عالم الحس ، فـكل ذلك اختلال يفسد ترابط النفس وتوازنها .. ومن ثم فهو غير جميل .

وحين يتسبب الانسان فى إفساد توازن المجتمع الاقتصادى أو السياسى أو الخلقى ، فيشيع الفاحشة الإقتصادية بتركيز الثروة هنا وسلبها من هناك ، أو الفاحشة السياسية باقامة الطغيان فى الأرض ، واذلال الضعفاء ، أو الفاحشة الخلقية بنشر الجريمة وتيسيرها والدعوة اليها . فهو فى كل حالة من هذه الحالات غير جميل .. لأنه مخالف لناموس الحياة .

والنظرة الى الجمال فى الحياة الانسانية على هذا المستوى الشامل المستمد من حقيقة الكون ، كفيلة بأن توسع مفهومنا الجمالى ولا تحصره فى حدوده الصغيرة المعروفة »(٢٥) .

الحب :

ويتصل بمفهوم الجمال كلام الأديب فى « الحب » فهل الالتزام بالرؤية الاسلامية يقيد الأديب . اذا عبر عما يمر به من تجارب شعورية فى هذا السبيل ؟

وللاجابة عن هذا السؤال نذكر أن تاريخ الأدب قد عرف نموذجين فى ذلك .

الأدب المكشوف :

نموذج الأدب لقب بالأدب المكشوف ، أو الأدب العارى والذى يمثله امرؤ القيس والنابغة الذبيانى فى بعض المأثور من شعرهما الجاهلى وكأبى نواس فى شعره الغزل والغلمانى وشعر الخمريات ، وكبشار وابن الرومى والحسين بن الضحاك وحماد عجرد ، وابن الحجاج وابن سكرة وغيرهم من الشعراء العباسيين فى شعرهم الماجن الخليع(٢٦) .

حملة المازنى على الأدب المكشوف :

وقد حمل على هذه الدعوة جماعة من النقاد والأدباء منهم المازنى الذى جعل هذا الأدب المكشوف شبيها بالنزعة الى العرى عن اللباس ، وقال : ان النزوع الملحوظ فى أدب القصة الأدبية الى تناول

---

(٢٥) منهج الفن الاسلامى/١٣٦ ــ ١٣٨ .
(٢٦) أنظر قضايا النقد الأدبى د. بدوى طبانه/١٣٠ .

المسائل الجنسية بلغة صريحة ، أو الى الأدب المكشوف ـ كما يقولون ـ شبيه بالنزوع . الى العرى بل الحركتان فرعان من أصل واحد ، وهما فى القرب متسايرتان بخطا متقاربة »(٢٧) .

وإذا كان الأدب المكشوف بتزيين من الشيطان ، فان العرى ـ كذلك ـ بتزيين من الشيطان ولعلنا نتذكر ما حذرنا القرآن الكريم منه فى قوله تعالى : « يابنى آدم لايفتنكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما» (٢٨) .

« ثم يقول المازنى انه لايرى مزية للكشف لا تنال بالتحفظ والضبط بل انه ليرى فى ذلك خسارة للانسان خسارة لا تعوض ، لأن الانسان عرف الثياب ، فهو ستربها جسمه ، ولو ظل عاريا كغيره من الحيوان لما كان للمسائل الجنسية وذكرها أو حتى رؤيتها أى تاثير فى نفسه ، فانا نرى الحيوانات عارية ولا نخجل ، ونشهد تنزيها فلا تتحرك لذلك شهواتنا ، وكان يمكن أن يكون هذا نظر الانسان الى الانسان لو ظل عاريا ولكنه استتر ، فكان من فضل الثياب أن صرفت ذهنه الى حد كبير عن جسمه وشهوته الى ما هو أسمى وأعلى ، وأن جعلت ما فى الثياب شيئا يستحى منه ، ولا يذكر الا بعبارة مستورة مثله ، وصحيح أن الثياب أغرت بالتطلع والكشف ولكنها حجبت ، فوجهت النفوس والعقول وجهات أخرى وكان من فضلها هذا الرقى .

ولا فرق عند المازنى بين أن تصف المسائل الجنسية شاذة كانت أو غير شاذة وصفا صريحا فى قصد ، وأن تعرى انسانا فى الطريق وتنزع عنه ثيابه وإذا كان أحد يرى فرقا بين الحالين فان المازنى لا يراه مادام الانسان يلبس الثياب ويتستر بها فلابد أن يتوخى فى كتابته الكبح والضغط ، والثياب جمال مزيد ، وقد التمسها الانسان أول ما التمسها للزينة لا للمنفعة .

والجسم الانسانى فى الثوب المناسب أجمل منه وهو عريان ، وافتن ـ أيضا ـ .

---

(٢٧) المرجع السابق/١٣١ .
(٢٨) سورة الأعراف/٢٧ .

وكذلك الكتابة الصريحة اقل جمالا وفتنة من اللغة المستورة ، ومزية التحفظ فى الكتابة انه يجعلها اقوى وافعل وآنس وأسبى »(٢٩) ٠

تحفظ يسير :

ومع موافقتى للنتيجة التى يصل اليها المازنى فى التزام الادباء من كتاب وشعراء بالخلق والحياة فى مجتمع يلتزم بالثياب وينكر العرى فانى اضع تحفظا يسيرا على عبارته « ولو ظل عاريا كغيره من الحيوان لما كان للمسائل الجنسية وذكرها او حتى رؤيتها اى تاثير فى نفسه » لاننا لو سلمنا له بأن المسائل الجنسية مع العرى تصير الى ابتذال ، ويشمئز أصحاب النفوس الصحيحة منها ويعافونها فاننا نرى أن التاثير فى النفس لا يقتصر على الرؤية وجدها بل الأساس فيها الغريزة الجنسية الكامنة فى النفس ، والرؤية تثيرها وتهيجها ٠ وتدعوه الى اشباعها ٠

يأتى هذا الاستدراك خشية أن يقال ان السبيل الى إلف الامور الجنسية الا توجد الحساسية نحو لعرى ، وكذلك نحو الادب المكشوف الذى يتناول الجنس تبادلا صريحا لا حياء فيه ٠

بل قد حدث ذلك ــ فعلا ــ فالكاتب المغرض سلامة موسى يرى أنه ليست للأدب علاقة بالاخلاق ، لأن ستر الحقائق يجعلها أجذب للنفس من سفورها ، وأن ابعد المسائل الجنسية عن الادب ، أو عدم المصارحة فى الكلام فيها ، يجعل الذهن أعلق بها ، ويفتح الطريق للكاتب المنحط الذى يلجأ الى الرجس ، والأدب « السافر » يجعلهم يحسون الحياة كما هى فى الحقيقة والواقع ، فلا يحدث الانحراف الذى تجلبه المجانية ، ان الأدب كالعلم يجب أن يبقى حرا ٠ ثم ان علم النفس الحديث يبين لنا أن المصارحة فى المسائل الجنسية خير من الموارية « وأن معظم الامراض الجنسية تنشأ من المجانية والابتعاد »(٣٠) ٠

ارايت كيف يموه الكاتب ــ هنا ــ ويتغافل عن الحقائق الادبية ؟ فهل يجهل أن الأدب يغذى مشاعر القراء ويسمو بهم ، أو ينحط بهم

---

(٢٩) قضايا النقد الادبى للاستاذ الدكتور بدوى طبانه/ ١٣١ ــ ١٣٢ عن مقال للمازنى فى (البلاغ) ١٩٣٥/٧/٦ ٠
(٣٠) قضايا النقد الأدبى/١٣٤ ــ ١٣٥

فكيف يكون الابتذال فى التعبير ، ودوام قرع الاسماع بالأدب المكشوف سبيلا الى السمو الذى خرج به فى موضع آخر ليموه على القارىء فيقول :

« ان موضوع الأدب هو موضوع الطبيعة البشرية فى حقيقتها ، والتسامى بهذه الطبيعة الى ما هو أرقى منها مما يبصره الأديب بما يشبه بصيرة النبى » . فهل أصحاب الرسالات من الأنبياء يطلقون التعبير المكشوف عن مسائل الجنس والغريزة . أم هى الجراة المكشوفة بلا حياء والتى تجعل الكاتب لا يستحى من وضع بصر الأديب بجوار بصيرة النبى ؟

« ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما »(٣١) .

نموذج لفحش القول :

وهل يسوى السامع بين قول امرىء القيس :

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضعا
فالهيتها عن ذى تمائم مغيل(٣٢)

اذا ما بكى من خلفها انصرفت له
بشق وشق عندنا لم يحول

نموذج لعفة القول :

وقول عنترة :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل منى
وبيض الهند تقطر من دمى(٣٣)

فوددت تقبيل السيوف لأنها
لمعت كبارق ثغرك المتبسم

---

(٣١) سورة النساء/٢٧ .

(٣٢) ديوان امرىء القيس والمغيل : المراضع وامه ، أو الذى يرضع وامه تجامع . أى المراضع والحبالى معجبات به .

(٣٣) معلقات العرب للدكتور بدوى طبانة ص ١٨٨ البيت ٥٣ و ٥٤ .

فمثل قول امرىء القيش تشمئز منه النفس السوية مهما بلغ من جودة الصناعة الشعرية ، فان صدمة المعنى فى تفحشه تذهب اى جودة فى الصناعة الشعرية ، ولقد عجبت من « قدامة » حين التمس العذر لامرىء القيس ورأى أن فحش المعنى لا يزيل جودة الشعر فيه كما لا يعيب جودة النجارة فى الخشب رداءته فى ذاته(٣٤) ، لاننا لا نستطيع أن نصف العمل الذى قام به النجار بالجودة ، بل سيبقى حكمنا على العمل فى أن صنعته جيدة ومادته رديئة ، وأن رداءة المادة فى الخشب تذهب حلاوة الصنعة . ولا تمتع صاحب النجارة بنجارته لانها لن تستمر طويلا اذا كان الخشب رديئا ، وستبقى مؤاخذتنا للنجار على اهماله فى اختيار الخشب الردىء مما يقدح فى صنعته ، لأنه لو كان صانعا ماهر لاختار لحسن صنعته جودة المادة حتى لا يكون كمقلد الدر الخنازير ، هذا مع الفارق الكبير بين صناعة النجار ، وصناعة الشاعر .

ان الشاعر يخاطب النفس الانسانية التى لا تعرف الالفاظ مفرغة عن معانيها ، واذا أصيبت النفس من فساد المعنى ، فكيف لها أن تدرك حسن الصياغة ؟

واذا كان امرؤ القيس ردىء المعنى فاحشا فى هذين البيتين فان عنترة جمع فى بيتيه حرارة المعنى ، وصدق المشاعر فى عفة وحياء مع صناعة شعرية تأسر النفس وتأخذ بالب .

فقد تعانق المعنى العفيف مع الصورة الموحية مع التعبير الشعرى الساحر . فهو يذكر حبيبته فى أشد المواقف ، ويكفيه منها ابتسامتها التى رآها فى لمعان السيوف .

ان حبه لحبيبته لم يكن حب المغامرات الليلية ، والسكر ، والنوم ، وخمول الذكر . بل حبه لحبيبته من نوع حبه للقتال .

فشوقه الى تقبيل السيوف كشوقه الى رؤية ابتسامة حبيبته .

الحبيبة عند الرافعى :

والحبيبة عند كثيرين من أصحاب هذا الشعر العذرى شاعرة روحانية تسمو هى وصاحبها بالحب فوق المادة ولا يريدان الا وحى

---

(٣٤) نقد الشعر لأبى الفرج قدامة بن جعفر : تحقيق كمال مصطفى/٢١ .

النفس الجميلة للنفس الجميلة . يقول الأستاذ مصطفى صادق الرافعى فى مقدمة أوراق الورد :

« ما أرى هـذا الحب الا كورق الورد فى حياتـه ورقتـه وعطره وجماله ، ولا أوراق الوردة الا مثله فى انتشارها على أصابع من يمسها اذا جاوز فى مسها حدا بعينه من الرفق ، ثم فى تفترها على الحـاح من يتناولها اذا تابع الحاحه عليها ولو بالتنهد ، ثم فى بنـاء عقدها على أن تتحلل أو تذوى ان لم يمسكها مع بنائها الرفيق حذر من أن تكون فى يده .. لأنها على يده فن لا وردة(٣٥) . ويقول الرافعى فى قصيدة « قال القمر ... » :

يا ليـل ، هيجت اشـواقا اداريهـا
فسـل بهـا البدر : ان البدر يدريهـا

راى حقيقة هـذا الحسن غامضـة
فجـاء بظهرهـا للنـاس تشبيها

فى صـورة من جمـال البدو ننظرهـا
وننظـر البدر بيد وصـورة فيهـا

●●●

ياتى بمـل سـماء من محاسـنه
لمهجتـى وأراه ليس يكفيهـا

وراحـة الخـلد تاتى فى اشـعته
تبغى على الأرض من فى الأرض يبغيها

وكم رسـائل تلقيهـا السـماء به
للعاشـقين فيـايتهم ويلقيهـا

●●●

يقول للعاشـق المهجـور مبتسـما
خـذنى خيـالا أتى ممن تسميهـا

وللـذى ابعـدته فى مطارحهـا
يد النوى ، أنـا من عينيك أدنيهـا

---

(٣٥) أوراق الورد للرافعى/٢٥ .

وللذى مضه يـاس الهـوى فسـلا
انظـــر الى ولا تترك تمنيهـــــا

●●●

اما انـــا فاتـــانى البدر مزدهيـــا
وقـــال : جئت بمعنى من معانيهـــا

فقلت من خدها ام من لواحظهـــا
ام من تدللهـــا ، ام من تابيهـــــا

ام من معاطفها ، ام من عواطفها
ام من مراشـفها ، ام من مجانيها

ام من تفترها ، ام من تكسرهـــا
ام من تلفتهـــا ، ام من تثنيهـــا ؟

كن مثلها لى • جذبا فى دمى وهوى
أو كن دلالا وكن ســـحرا وكن تيهـــا

●●●

فقال وهو حزين : ما استطعت سوى
انى خطفت ابتسـاما لاح من فيهـــا

فالحبيبة فى عفة وحياء لم يستطع القمر الا خطف ابتسام لاح من فيها ان الشاعر ـ هنا ـ يعبر عن شـعور صادق ، وعن عاطفة قويـة كسيت بالحياء فصارت منضبطة بمكارم الاخلاق ٠

انها نفوس تحب الجمال وتجذب اليه ، ولكن لا تصل الى الفوضى، لان طريق الاستمتاع بهذا الجمـــال هو الطريق المشروع وحده ، وهو الطريق الذى يلتزم به الاديب ليحس بالجمال ، ولينقل هــذا الاحساس الى الاخرين ٠

الالتزام بالتصور الاسلامى انطلاق مهذب رشيد :

وفى هــذا دلالة على ان الالتزام بالتصور الاسلامى يجعل الاديب فى قمة السمو الادبى حيث يعبر عما يجده فى نفسه ،وما ينفعل به ، فى نظام هو الجمال النفسى ، والجمال الاجتماعى ٠

واذا أردنا اليقين فى هذه المسالة فلننظر فى صفحات التاريخ ، لنرى كيف تكون الفوضى الجنسية سبيلا لتدمير النفوس ، والمجتمعات التى تبنى عليهـا .

« قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظـروا كيف كان عاقبة المكذبين »(٣٦) .

يقول الأستاذ محمد قطب : « كل أمة أطلقت لنفسها شـهوة عشق الجمال الجسدى والجمال الجنسى وكانت نتيجتها واحدة فى النهايـة : تحطمت وغلب عليهـا غيرها من الامم القوية المتماسكة التى لم تفسـد بعـد .

كذلك فعلت اليونان القديمة ، وروما القديمة ، والعالم الاسـلامى حين طغت عليه الشهوات ، وكذلك فعلت فرنسا فى العصر الحديث ، وكذلك تصنع بقية الدول الغربية التى تبدو اليوم قوية متماسـكة وهى منحلة من الداخل ينخر فى كيانها السوس »(٣٧) .

وكيف تتحقق الغايات النبيلة من علاقة الرجل بالانثى فى السـكن النفسى والمودة والرحمة ان اقتصرت نظرة الرجل اليها على الجـانب الحسى ، فى صورة ممتهنة ؟

ان الاحساس بالجمال المتكامل ، والتعبير عنه من سمات الأدب الملتزم بالرؤية الاسلامية التى ترفع من قدر الانسان وتسعده .

ان النظرة الاسلامية تعطى الأديب حرية التعبير عن مشـاعره باعتباره انسانا مكرما مؤثرا فى غيره ، وفى محيطه الاجتماعى ، ليسعد، ويسعد ، دون ضرر أو اضرار .

يقول البارودى فى مقدمة ديوانه(٣٨) :

« الشعر لمعـة خيالية يتالق وميضها فى سماوة الفكر ، فتنبعث أشعتها الى صحيفة القلب فيفيض بلالائها نورا خيطـه باسلة اللسـان فينفث بالوان من الحكمة ينبلج بها الحـالك ،ويهتدى بدليلها السالك .

---

(٣٦) سورة آل عمران/١٣٧ .

(٣٧) منهج الفن الاسلامى/١٣٨ ـ ١٣٩ .

(٣٨) ديوان البارودى ١/٥٥ ـ ٥٦ وانظر فى الأدب الحديث .
د. عمر الدسوقى ١/٢٣٤ .

وخير الكلام ما ائتلفت الفاظه وائتلفت معانيه ، وكان قريب المأخذ ، بعيد المرمى ، سليمان من وصمة التكلف ، بريئا من عشوة التعسف ، غنيا عن مراجعة الفكرة فهذه صفة الشعر الجيد ، فمن آتاه الله منه حظا ، وكان كريم الشمائل ، طاهر النفس ، فقد ملك أعنة القلوب ، ونال مودة النفوس .. ولو لم يكن من حسنات الشعر الحكيم الا تهذيب النفوس ، وتدريب الأفهام وتنبيه الخواطر الى مكام الأخلاق لكان قد بلغ الغاية التى ليس وراءها لذى رغبة مسرح ، وارتبا(٣٩) الصهوة التى ليس دونها لدى همه مطمح .

فالشعر لدى البارودى لا تنفصل فيه المشاعر عن الفكر ، ولا ينفصل فيه القلب عن العقل ، والائتلاف اللفظى والمعنوى من خصائص الجيد منه ومن أهم غاياته تهذيب النفوس وتنبيه الخواطر الى مكارم الأخلاق .

علاقة الرجل باؤنثى فى التصور الاسلامى :

واذا قال قائل : ان ذكر المرأة وذكر المشاعر نحوها سواء كانت حسية أم معنوية يثير فى النفس الغريزة الجنسية ويفتح الطريق امام السامعين لاشباعها فهل هذا يتفق مع التصور الاسلامى ؟

وأقول : ان الحكم الذى ذكرناه ـ من قبل ـ فى أن حكم الشعر كحكم الكلام حلاله حلال وحرامه حرام ولكن فارق التاثير بين الشعر والكلام المنثور يجعلنا نركز على أن الشاعر الملتزم بالتصور الاسلامى ان ذكر المرأة فى شعره التزم بمفهوم الاسلام نحوها ، ونحو العلاقة فيما بينهما فصان حياءها ، وكرامتها ، وعفتها ، وصان العلاقة بينهما فى صفائها وقيامها على المودة والرحمة ، فان أثيرت الغريزة الجنسية بهذه المفاهيم فان تصريفها سيكون فى طريقه الصحيح الذى رسمه الاسلام لهما .

« ومن آياته أن خلق لكم من انفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة »(٤٠) .

وعلى ذلك نفهم ما جاء فى قصيدة كعب بن زهير امام النبى صلى الله عليه وسلم :

---

(٣٩) علا وأشرف . انظر هامش الديوان رقم ١٣ جـ ٥٦/١ .
(٤٠) سورة الروم/٢١ .

بانت سـعاد فقلبى اليـوم متبول
متيـم اثرهـا لـم يغـد مكبـول
وما سـعادة غـداة البين اذ رحـلوا
الا اغن غضيض الطـرف مكحول
تجـلو عـوارض ذى ظـلم اذا ابتسـ
مت كانه منهل بالراح معـلول(٤١)

فيذكر القرطبى أن كعب بن زهـير جـاء فى هـذه القصـيدة من الاستعارات والتشبيهات بكل بديع ، والنبى صلى الله عليه وسلم يسـمع ولا ينكر فى تشبيهه ريقها بالراح(٤٢) .

ويقول القرطبى :

« وكان عبيد الله بن عبد الله بن عتبـه بن مسـعود أحد فقهـاء المدينة العشرة ثم المشيخة السبعة شاعرا مجيدا مقدما فيه ، وللزبير بن بكار القاضى فى أشعارة كتاب ، وكانت له زوجة حسنة تسمى عثمة فعتب عليها فى بعض الأمر فطلقها ، وله فيها أشعار كثيرة ، منها قوله :

تغلغـل حب عثمـة فى فـؤادى
فبـاديه مـع الخـافى يسـير
أكـاد اذا ذكـرت العهـد منهـا
أطـير لو أن انسـانا يطـير
تغلغـل حيث لم يبـلغ شراب
ولا حـزن ولـم يبلـغ سـرور

وقال ابن شهاب : قلت له : تقول الشعر فى نسك وفضلك ؟
فقال : ان المصـدور اذا نفث برأ .

---

(٤١) بانت : فارقت فراقا بعيدا . متبول : أسقمه الحب وأضناه اغن : ظبى صـغير فى صـوته حسن . تجلو : تصـقل وتكشـف . عواض : جمع عارضة . الاسنان : ظلم ماء الاسنان وبريقها ورقتهـا . المنهل : المسقى . الراح : الخمر . أنظر . الاسعاد شرح بانت سـعاد للأستاذ مصطفى محمد عمارة ص ٢٩ ــ ٣٠ .
(٤٢) أنظر تفسير القرطبى ١٤٧/٧ .

وهكذا نرى أن المعاني المستحسنة طبعا يستوعبها الشعر في التصور الاسلامى بها الشعر حسنا يحفظ ويغنى به .

الشعر المذموم :

وقبل أن نذكر النوع الآخر من هذا الشعر الحسن ، وهو المستحسن شرعا ـ كما ذكر القرطبي ـ أذكر ما قاله ـ كذلك ـ في الشعر المذموم الذى لا يخل سماعه ، وصاحبه ملوم ، فهو المتكلم بالباطل حتى يفضلوا أجبن الناس علي عنترة ، واشحهم على حاتم ، وأن يبهتوا البرىء ، ويفسقوا التقى ، وأن يفرطوا في القول ، كما روى عن الفرزدق أن سليمان بن عبد الملك سمع قوله :

فبتن بجانبى مصرعات
وبت افض اغلاق الختام

فقال : قد وجب عليك الحد . فقال : يا أمير المؤمنين قد درا الله عنى الحد بقوله « وانهم يقولون ما لا يفعلون »(٤٣) .

وذكر الزبير بن بكار قال : حدثنى مصعب بن عثمان أن عمر ابن عبد العزيز لما ولى الخلافة لم يكن له الا عمر بن ابى ربيعة والاحوصى ، فكتب الى عامله على المدينة : انى قد عرفت عمر والاحوص بالشر والخبث فاذا أتاك كتابى هذا فاشدد عليهما واحملهما الى فلما أتاه الكتاب حملهما اليه ، فاقبل على عمر ، فقال : هيه :

فلم أر كالتجمير منظر ناظر
ولا كليالى الحج افلتن ذا هوى
وكم مالىء عينيه من شىء غيره
اذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى

أما والله لو اهتممت بحجك لم تنظر الى شيء غيرك ، فاذا لم يفلت الناس منك في هذه الايام فمتى يفلتون ؟ ثم أمر بنفيه . فقال : يا أمير المؤمنين : أو خير من ذلك ؟ فقال : ما هو ؟ قال :

أعاهد الله انى لا أعود الي مثل هذا الشعر ، ولا أذكر النساء

---

(٤٣) سورة الشعراء/٢٢٦ وانظر تفسير القرطبى ١٤٨/٧ ـ ١٤٩ .

فى شعر أبدا ، وأجدد توبة ، فقال : او تفعل ؟ : قال : نعم ، فعاهد الله على توبته وخلاه .

ثم دعا الأحوص ، فقال : هيه ؟

الله بينى وبين قيمها يفر منى بها واتبع

بل الله بين قيمها وبينك ؟ ثم أمر بنفيه فكلمه فيه رجال من الانصار فابى ، وقال : والله لا أرده ما كان لى سلطان ، فانه فاسق مجاهر . فهذا حكم الشعر المذموم وحكم صاحبه ، فلا يحل سماعه ولا انشاده فى مسجد ولا غيره ، كمنثور الكلام القبيح ونحوه »(٤٤) .

يقول ابو عمر : « ولا ينكر الحسن من الشعر أحد من أهل العلم ولا من أول النهى وليس أحد من كبار الصحابة وأهل العلم وموضع القدوة الا وقد قال الشعر ، أو تمثل به ، أو سمعه فرضية ، ما كان حكمة ، أو مباحا ، ولم يكن فيه فحش ولا خنا ولا لمسلم أذى ، فاذا كان كذلك فهو والمنثور من القول سواء لا يحل سماعه ولا قوله »(٤٥) .

المعانى المستحسنة شرعا :

وبعد أن تناولنا المعانى المستحسنة ـ طبعا ـ ورأينا كيف يكون الالتزام فيها واضحا عند الأديب نتناول الآن ـ المعانى المستحسنة شرعا ـ وكيف يكون الالتزام فيها .

ان المعانى المستحسنة شرعا ـ كما قسمنا من قبل ـ هى المعانى التى يكون للشرع فيها أمر مباشر ، وبمعنى آخر يكون المضمون الأدبى مشتملا على معنى من المعانى الشرعية المامور بها ، ومعنى ذلك أن يكون الأدب مواكبا لسير الدعوة وتوجيهاتها للناس ، ومواجهتها لأعدائها ممن وقفوا عقبة فى طريقها مستخدمين القوة والكلمة .

من أوائل الشعراء فى الاسلام :

وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم فى الشعر الذى يرد به حسان على المشركين : « أنه لأسرع فيهم من شق النبل »(٤٦) .

---

(٤٤) الجامع لاحكام القرآن ١٤٩/٧ ـ ١٥٠

(٤٥) المرجع السابق ١٤٧/٧ .

(٤٦) فى صحيح مسلم « عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اهجوا قريشا فانه أشد عليها من رشق بالنبل صحيح مسلم ٤٨/١٦ .

وعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة في عمرة القضاء وعبد الله بن رواحة يمشي بين يديه ويقول :

خلوا بنى الكفار عن سبيله
اليوم نضربكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله
ويذهل الخليل عن خليله

فقال عمر : يا ابن رواحة أفي حرم الله وبين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خل عنه يا عمر فلهو أسرع فيهم من نضح النبل »(٤٧) .

وقال أبو الحسن المبرد لما نزلت والشعراء جاء حسان ، وكعب بن مالك ، وابن رواحة يبكون الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا نبي الله انزل الله تعالى هذه الآية ، وهو تعالى يعلم أنا شعراء ؟ فقال : « اقرءوا ما بعدها » الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات « الآية - أنتم « وانتصروا من بعد ما ظلموا » أي بالرد على المشركين . قال النبي صلى الله عليه وسلم(٤٨) .

« انتصروا ولا تقولوا الا حقا ولا تذكروا الآباء والأمهات » فقال حسان :

هجوت محمدا فاجبت عنه
وعند الله في ذاك الجزاء
وان أبي ووالدتي وعرضي
لعرض محمد منكم وقاء
أتشتمه ولست له بكفء
فشركما لخيركما الفداء
لساني صارم لا عيب فيه
وبحري لا تكدره الدلاء

---

(٤٧) رواه الترمذي وصححه وانظر الجامع لاحكام القرآن ٧/١٥١
(٤٨) في سنن الترمذي ٨/٦٤ قول النبي صلى الله عليه وسلم والذي رواه أنس - وفيه « فلهي أسرع فيهم من نضح النبل » وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه .

وقال كعب : يا رسول الله إن الله قد انزل فى الشعر ما قد علمت فكيف ترى فيه ؟

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « ان المؤمن يجاهد بنفسه وسيفه ولسانه ، والذى نفسى بيده لكأن ما ترمونهم بل نضح النبل » .

وقال كعب :

جاءت سخينة كى تغالب ربها ويغلبن مغالب الغلاب

فقال النبى صلى الله عليه وسلم :

« لقد مدحك الله يا كعب فى قولك هذا »(٤٩) .

فكان حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك الانصارى، وكعب بن زهير وغيرهم من الشعراء الأوائل الذين حملوا مفاهيم الاسلام وضمنوها أشعارهم ، وحملوا على أعداء الاسلام بشعرهم .

التزامهم :

وكان فهمهم للالتزام الدينى يتناول الجانب الايجابى المتمثل فى بث المفاهيم الاسلامية الجديدة فى أشعارهم ، ويتناول كذلك التصفية والتنقية لما كانوا عليه فى الجاهلية من طريقة التعبير ، ومن مضامين الشعر السلبية فاذا كانت العفة مفهوما ايجابيا للنفس التزموا به فان الفحش مفهوم سلبى تطهروا منه ، وطهروا أشعارهم منه ، وبمعنى آخر نقول : أن فهمهم للالتزام بمبادىء الاسلام عرضا وتقديما للناس يتسع ليشمل كذلك عدم المخالفة لأى فكرة اسلامية ولو كان مضمون القصيدة من المعانى المستحسنة طبعا .

ولقد برزت هذه التنقية لديهم ونضرب على سبيل المثال موقفا مع حسان بن ثابت رضى الله عنه ، « فيروى أن حسانا مر بفتية يشربون الخمر فى الاسلام فنهاهم فقالوا : والله لقد أردنا تركها فزينها لنا قولك :

ونشربها فتتركنا ملوكا وأسد ما ينهنهنا اللقاء

فقال : والله لقد قلتها فى الجاهلية ، وما شربتها منذ أسلمت وكذلك

---

(٤٩) انظر الجامع لأحكام القرآن ٧/١٥٢ ـ ١٥٣ .

قيل : ان بعض هـذه القصيدة قاله فى الجاهلية ، وقال آخرها فى الإسلام فى فتح مكة »(٥٠) ٠

واذا كانت هذه الرواية تثبت الأثر القوى للمضمون الشعرى الذى يؤكد ما نقول به من معنى الالتزام بمفهومه الكامل فانها تدل ـ أيضا ـ على التنقية والتصفية والبراءة مما قيل فى الجاهلية ، ويخـالف المبادىء الجديدة،و لعل استمرار وجودها فى القصيدة مع تنبيه حسان الى ما قيل فى الجاهلية وما قيل فى الاسـلام لبيان الحـالين ، وكيف خرجـوا من الظلمات الى النور ٠

من شعراء العصر الحديث « البارودى » :

وظل الأدب بشعره ونثره يؤدى دوره فى بث المفاهيم الاسـلامية على مر العصور (مع تفاوت فى قوته وضعفه من عصر الى آخر) حتى كان العصر الحديث وجـاء البارودى ليضمن شـعره ـ كذلك من هـذه المعانى فيقول بعد أن نفى الى مر نديب :

يقـول أنـاس اننى ثـرت خالعـا
وتلك هنـات لم تكن من خلائقى
ولكننى ناديت بالعـدل طالبـا
رضا الله واستنهضت أهل الحقائق
أمـرت بمعـروف وانكـرت منكـرا
وذلك حـكم فى رقـاب الخـلائق
فـان كان عصـيانا قيـامى فاننى
أردت بعصـيانى اطـاعة خـالقى
وهل دعوة الشـورى على غضاضة
وفيهـا لمن يبغى الهدى كل فارق ؟
بـلى انهـا فـرض من الله واجب
على كل حى من مسـوق وسـائق
وكيف يكون المـرء حـرا مهذبـا
ويرضى بمـا ياتى به كل فاسـق ؟
فان نافـق الأقـوام فى الدين غـدرة
فـانى بحمـد الله غـير منافـق

ـ (٥٠) انظر ديوان حسان بن ثابت ١٩/١ ٠

عـلى انني لم آل نصحا لمعشر
أبى غدرهم ان يقبلوا قول صـادق
رأوا ان يسوسوا الناس قهرا فاسرعوا
الى نقص ما شادتـه أيدى الوثـائق
فلما استمر الظـلم قامت عصـابة
من الجند تسعى تحت ظل الخوافـق
وشـايعهم أهـل البـلاد فأقبـلوا
اليهم سراعـا بين ات ولا حـق
يرومون من مولى البـلاد نفاذ ما
تالاه من وعد الى الناس صـادق

فهذه الابيات التى قالها بعد أن اتهم بانه يطمع في الملك ، وخـلع توفيق(٥١) قد ضمنها مجموعة من المبادىء الاسلامية التى يقوم عليها الحـكم مثل : العدل ، وابتغـاء مرضاة الله ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخـالق ، والشورى ، والغضب لله ، وغدرة النفاق فى الدين ، والنصح ، والصدق ، والظلم .

شـــوقى :

وهذه المعاني الإسلامية المباشرة تجعلنا نقول ان الالتزام واضح فيها وجاء شوقى فنظم روائعه الاسلامية ، وتوالت مواكب الشعراء تنشر الأغاريد الدينية ، فنظم حافظ « العمرية » ونظم أحمد محرم ديوان « مجد الاسـلام » . فما قاله شـوقى ، يفسر بشـعره غزوات الرسـول صلى الله عليه وسلم ، ويرد على المعارضين فيقول :

قـالوا :

غـزوت ، ورسـل الله ما بعثوا
لقتـل نفس ، ولا جـاء والسفك دم
جهـل ، وتضـليل احـلام وسفسطة
غزوت بالسيف بعد الغزو بالقـلم
والشر ان تلقـه بالخـير ، ضقت به
ذرعـا ، وان تلقـه بالشر ينحسـم

(٥١) انظر ديـوان البـارودى ٢/٣٦٢ ـ ٣٦٤ وانظـر فى الأدب الحديث ـ الأستاذ/عمر الدسوقى ٢٦٩/٠ ، وتالاه ـ فى البيت الأخير ـ : أقسم عليه وحلف (انظر هامش للديوان رقم ٣٢ جـ ٢/٣٦٤ .

ونصفى الى شوقى مرة اخرى وهو يعطى التفسير الانسانى للغزوات ويوضح دورها فى نشر العدل واعلاء راية الحق ، مبينا أن الاسلام فى حروبه سلامة يمد جانب السماحة البيضاء التى تنشر الرفاهية والرخاء فيقول(٥٢) :

كم من غزاة للنبى كريمة
فيها رضا للحق او اعلاء
كانت لجند الله فيها شدة
فى اثرها للعالمين رخاء
ضربوا الضلالة ضربة ذهبت بها
فعلى الجهالة والضلال عفاء
دعموا على الحرب السلام وطالما
حقنت دماء فى الزمان دماء

وقريب من هذا المعنى الذى يواكب الدعوة فى انتشارها ، وفى ارسائها لقواعد العدل والحق ، وتبديد ظلام المستبدين وظلمهم ما قاله على الجارم فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم :

احييه من طيف الملائك موكب
ويرعاه من طيف النبين موكب
له الكون ميدان اذا سل سيفه
وقال الفرسان الملائكة اركبوا
ومن لم يؤد به البيان وهديه
فان الحسام العضب نعم المؤدب
فقد انزل الله الحديد وباسه
لمن سد أذنيه الهوى والتعصب

احمد محرم :

واما أحمد محرم فقد رصد حركة الجهاد الاسلامى فى ديوانه « مجد الاسلام » وصار يستنهض الهمم لاعادة روح الجهاد لاعلاء كلمة الله فيقول فى قصيدة يخاطب بها عاما هجريا :

اقبل ، عليك من الشعوب سلام
فزع الصليب اليك والاسلام

---

(٥٢) انظر مع الأدب الاسلامى د. أحمد جاد/٤٢ .

عيس يناجى فيك سيف مجمد
والدمع سيل والهموم ركام
اضرب لنا مثل الجهاد وسربنا
نفش الوقائع ، فالحياة صدام
« أحد » و « بدر » شاهدان فما على
من يسفك الدم فى الحقوق ملام(٥٣)

●●●

ولقد اتجه « أحمد محرم » منذ بدا حياته الأدبية الى ايقاظ الشعور الدينى فى العالم الاسلامى ، والتذكير بما فى الاسلام مشيدا بمناقب السلف فيقول فى قصيدة بعنوان « شدوا عرى الدين » :

يا منزل الوحى تهدى الحائرين
الى السبيل وتحيى صالح السنن
انزل على قلمى ما شئت من حكم
تمحو الجهالة عن قومى وعن وطنى

الى أن قال مبينا منهجه :

بالحق اصدع فى أمن وفى فزع
والصدق أتبع فى سر وفى علن
ما بعت دينى بدنيا لابقاء لها
ولو فعلت وجدت الله فى الثمن
البر والخير والدنيا وما لبست
من الحضارة لولا الدين لم تكن
قل للشعوب اذا اخلاقها وهنت
وراعها طائف الارزاء والمحن
شد واعرى الدين ، فالأخلاق ياخذها
ما كان من قوة بالدين أو وهن(٥٤)

وقال من قصيدة بعنوان : « توبوا الى الهدى »(٥٥) :

هل الدين الا معقل نحتمى به
اذا دلف العادى الينا فاسرعا ؟

---

(٥٣) أنظر مع الأدب الاسلامى/٤٤ .
(٥٤) أنظر ديوان مجد الاسلام/١٠ ـ ١١ .
(٥٥) المرجع السابق /١١

هل الــدين الا الروح تحمي نفــوسنا
حيـــاة ترينا ما حلى العيش ممرعا ؟
هو الــدين ان يذهب فلا عــز بعــده
وان جــد ساعينا على اثر من سعى

وعندما حمل كرومر المعتمد البريطانى بمصر على الاسلام والمسلمين قال من قصيدة طويلة مطلعها (٥٦) :

رويــدك أيهـــا الجبـــار فينــــا
فـــــان الـــرأى الا تزدرينــــــا
ســـل الاحيــاء والموتى جميعـا
أكنـــــا أمـــــة مستضعفينـــــا ؟
ليـــالى يبعث الاســـــلام منـــا
عزائم تخضـــع المتغطـرس ســـــينا
فتــل عــروش جبــارين غلبــا
ونجتـــث الممــــالك فاتحينــــا
وقائـــع ترجف الــحولات منهــــا
ويذكرها القيـــــاصر صاغرينـــــا

● ● ●

وعندما دعا قاسم امين المرأة الى السفور قال من قصيدة :

ســــلام على الأخلاق فى الشرق كلــه
اذا ما استبحت فى الخــدود الكرائم

ثم يتوجه بالحديث الى قاسم امين فيقول :

أ (قاسم) لا تقذف بجيشــك تبتغى
بقـــومك والاســــلام ما الله عـــالم
لنـــــا من بنــــاء الأولين بقيــــة
تلـــوذ بهـــا أعراضنا والمحـــارم
نبــذت الينـــا بالكتـــاب كانمـــا
صحائفــــه مما حمــلن ملاحـــــم
ففى كل ســـطر منه حتف مفاجىء
وفى كل حـــرف منه جيش مهاجـــم
عفــا الله عن قـــوم تمادت ظنونهم
فلا النهج مامون ، ولا الرأى حـازم

---

(٥٦) المرجع السابق ١١/١

اســـــلامية الأدب :

وهكذا نرى أن الشعر الذى يبسط المفاهيم الاسلامية ، ويناقح عنها وكذلك النثر بفنونه لا خلاف فى أنه محمود وممدوح ، لانه يتضمن المعانى المستحسنة شرعا .

وعلى ذلك نستطيع القول بأن التزام الأديب بالمعانى المستحسنة طبعا ، والمعانى المستحســـنة شرعا ، هو الالتزام الذى يتفق والرؤيـة الاسلامية مع تقريرنا بأنه لا تعارض بين المعنيين .

ومقتضى ذلك الا نقصر مفهوم الالتزام بأدب الدعوة على المعانى المباشرة وحدها . بل يكون ملتزما بالتصور الاسلامى فى الموضوع الذى يتنـاوله .

يقول الدكتور عبد الله الحامد فى بيان المقصود بالاســلامية عندما ينسب الأدب اليها :

« ... وليس المقصود بالاسلامية فيه أن يكون دينيا يعنى بالتسبيح والتحميد والدعاء والاستغفار ونحوهما من ابتهال للمولى وتعظيم له ، وحديث عن عجائب مخلوقاته ، كذلك شعر دينى اسلامى ، ولكنه ليس كل الشعر الاسلامى بل بعض من كل ، وجزء من جسم ، فالشعر الاسلامى أوسع من ذلك بكثير ، انه يتناول كل قضايا الكون والحياة والانسان حين تمتزج بالعاطفة الاسلامية ، أو تتشح بوشاح الفكر السلامى » (٥٧) .

ولذلك يعـرف الدكتور عبد الله الحامد الأدب الاســلامى بقوله : « يعنى الأدب الذى اتصل بالاسلام اتصال الفرع بالأصل ، والجدول بالينبوع ، الأدب الذى يحمل فكرة اسلاميـــة نيرة ، أو عاطفة دينية سامية ، بهذا التعريف يتضح أن الأدب الاسلامى ليس يعنى الأدب الخلقى والحكم والنصائح التى يمكن أن تقال بأى لســان ، وفى أى عصر ، وأى ديانة كقول الشاعر :

كـــن حليمـــــا اذا بليت بغيـــظ
وصـــــبورا اذا بلتـــك مصيبـــــة

فالليـــــالى من الانـــام حبـــالى
مثقـــلات يلـــدن كل عجيبـــــة

---

(٥٧) الشعر الاسلامى فى صدر الاسلام د. عبد الله الحامد ١٥/٨

فذلك شعر اسلامى بالمعنى العام أى انه لا يعارض الاسلام فى تشريعه وهدية فهو مقبول حسن ، لكن الشعر الاسلامى النزعة كقول الشاعر :

واذا تعبك خصاصة فارج الفنى
والى الذى يعطى الرغائب فارغب

فالاسلامية فى هذه الفكرة ليست الدعوة الى الصبر على النوائب ، فتلك قضية عامة ، يقولها المتفائل للحياة ، مسلما ، وغيره ، لكن ربط الغنى بالله الفنى هو بيت القصيد فى الفكرة ، وهو ما يربطها بالاسلام ، ويلقى عليها نورا من نوره ، وفيضا من نبعه(٥٨) .

ويقـــول :

انما حسب الشاعر ان الا يتقدمى حدود النظرة الاسلامية لله والكون والانسان والحياة (٥٩) .

وبناء على هذه النظرة للأدب الاسلامى يجعل الدكتور الحـــامد للالتزام فى الاسلام معنيين ، « المعنى الأول عام ، ويعنى به أن لا يخالف الشاعر شيئا من التصور الاسلامى لله تبارك وتعالى ، وللكون وللحياة وللانسان ، فلا يعبث منحرفا شاكا كما فى شعر ابى العلاء المعرى والخيام ولا يعبث مفسدا للاخلاق كما فى شعر أبى نواس ، وابن حجاج وابن سكره الهاشمى ، ولا يبحث مؤرثا العداوة والبغضاء بين الناس كما فى شـــعر الأعشى والحطيئة وجرير وشعراء الهجاء ، اما ان يصف الشاعر الطبيعة بروح مؤمنة ، أو يصف جمالا ، أو قصرا ، أو فلاة ، أو أن يتحدث عن نوازع النفس وما فيها من حب واعجاب فذلك له يتغنى كما شاء وحينما شاء مادام لم يصطدم بشىء مما ذكر سابقا وهذا هو مفهوم الآية الكريمة « الم تر انهم فى كل واد يهيمون . وانهم يقولون مالا يفعلون » .

أى إنهم يبالغون ويتخيلون ، ويتعدون عن أرض الواقع الكثير ، ولكن هذا لا ينال من اسلالهم ما داموا لم يصطدموا بحدود التصـــور الاسلامى .

والمعنى الثانى : الالتزام بمعنى تقييـد الشـــاعر بان لا يقـــول الا مناضلا ومدافعا ومجندا فى سبيل قضية الايمان(٦٠) .

---

(٥٨) انظر الشعر الاسلامى فى صدر الاسلام /١٤ .
(٥٩) المرجع السابق /١٨ .
(٦٠) انظر الشـــعر الاســـلامى فى صدر الاســـلام د. عبد الله الحامد /٨٧ ، انظر كتب واراء ـ الكتاب الثانى للدكتور محمد بن سعد بن حسين /١٠٠ .

واتفق مع الدكتور الحامد فى كلامه عن الالتزام بمعناه الأول ، واما كلام الدكتور الحامد فى المعنى الثانى لا يتفق مع تصورى للالتزام كما اسلفت ـ فلا استطيع أن القب شاعرا مقيدا باى معنى من المعانى ملتزما ، وانما يكون ملتزما باعتبـــاره مسلما يعيش قضايا الاســـلام ويتفاعل معها ، ويهتم بامر المسلمين ، ويتفاعل مع قضاياهم ، كل هذا باعتباره انسانا مسلما كغيره ، ويزيد عن غيره فى اخراج هذه الاحساسيس وهذه التفاعلات فى ثوبها الأدبى الموحى الجميل .

وعندئذ سيكون الالتزام بمعنى الاعتناق واضحا ، وتكون القـــوة التعبيرية والصدق الفنى واضحا عندما يعرض قضايا الايمان ، وعندما ينصح قومه فى الاخذ باسباب الهداية ، وعندما يبصرهم بالطريق المستقيم ويحذرهم مما لا يبصرون من المخاطر .

كما اننى اضع ضابط آخر يتعلق بالمعنى الأول الذى ذكره الدكتور الحـــامد ـ وقد اشرت اليـــــه من قبل ـ فى ان لقب الالتزام لا ينبغى ان اطلقه على أديب بصورة عامة فاقول ان هذا الأديب ملتزم ، والآخر غير ملتزم ، وذلك لأن الاديب انسان ، وادبه متصل به ، وجزء من عمله وتحصينى له بلقب الالتزام يعمى ، ويحجب عن الناقد عدم الالتزام فى بعض الأعمال الأدبية ولا ينبغى ان يكون لقب الالتزام مضللا ـ لنا ـ بل يبقى مرتبطا بالعمل الذى نسمعه أو نقراه فاقول :

« ان الالتزام واضح فى هذا العمل ، او ان هذا الأديب لم يلتزم فى هذا العمل ، ولا اكون مسرفا اذا قلت : ان بعض الأعمال الأدبية التى لا يلتزم فيها بالوحدة العضوية لا ينبغى أن يكون لقب الالتزام ، أو عدمه ممنوحا للقطعة كلها ، بل قد يكون الالتزام واضحا فى جزء منها ، ولا يوجد فى جزء آخر .

وعلى ذلك لا استطيع القول بان ابا العلاء لم يكن ملتزما لوجود الشك فى شعره ، لأن الشك لا يشمل كل شعره ، وكذلك الخيام . وهكذا . ويقول الدكتور أحمد جاد (رحمه الله) فى تعريف الأدب الاســـلامى تعريفا يتفق مع ما قررناه :.

« اذا كان الأدب عامة هو الافكار والخواطر المعبر عنها فى قالب فنى ذى تاثير وجدانى فان الأدب الاسلامى هو ذلك المعنى بعينه بشرط أن تكون تلك الخواطر والافكار اسلامية .. أى نابعة من الاسلام بمحتواه وخصوصيته .

أو لنقل : ان قيم الاسلام ومثله وخلاصة دعوته ، وخصائص رسالته ، موضوعة في الاطار الفني ذى التأثير الوجداني وبعبارة أخرى : انه التعبير الذى تلتقى فيه (فنية) الشكل ، مع (اسلامية) المحتوى .

ويستوي في ذلك إن يكون هذا الاطار الأدبي شعرا أو نثرا ، مقالا او رواية أو قصة أو مسرحية ، أو ما يمتزج من هذه الألوان جميعا أو ما يجد عليها .

والأدب الاسلامي بهذا التصور اطار واسع شكلا ، وعميق مضمونا ، فهو ليس فقط قصائد ترحب بذكرى المولد ، أو تستقبل العام الهجرى ، أو تتغنى بليلة الاسراء .

وليس بالضرورة - أيضا - (عرضا تاريخيا) لقضاياه أو سير رجاله .. وان كان ذلك مطلوبا ومرغوبا ، لكن الاسراف فيه ، أو الاقتصار عليه ، كما هو واقع الأمر ، قد يفقده الغاية منه ، بل قد يكون ذا أثر عكسي .. اذ يوحى للمتلقى أن هذا الاسلام مرحلة تاريخية قضت مهمتها وانتهت ، (والقت ما فيها وتخلت) ، وأنه لم يعدلها وجود ولا مستقبل ، شأنها شأن أى عرض تاريخى للفراعنة أو قدامى الاغريق .

وبخاصة ان مثل تلك العروض التاريخية للاسلام تقدم صورا غير مألوفة وتعالج في الغالب قضايا لا تشابه واقع العصر ، ولا تحتوى مشاكل الانسان المعاصر .

ان الأدب الاسلامى تصور شامل للحياة في مثلها الأعلى ، وفضائلها المرتجاة ، وهو كذلك عرض صادق لقضاياها الكبرى ومشكلاتها الحثيثة من أجل البحث عن العلاج الذى لا يقتل ، والدواء الذى لا ينشر الجراثيم .

الأدب الاسلامي - الذى نريده ونتطلع اليه - هو الموقف الايجابى للأديب المسلم الذى يحيا في ضميره صوت محمد صلى الله عليه وسلم ، ويجيش وجدانه بخفقة وحى السماء لينظر الى العالم المضطرب من حوله والى الجماعات المطحونة .. فيحاول أن يرسى فيها السلام والنظام .

وأن يرفع عنها القهر والاصر والأغلال التى عليها .. بالكلمة الموحية المؤثرة ، والصورة الحية المعبرة ، والبصيرة اللامحة النافذة ، والموقف الشجاع المتصدى(٦١) ..

---

(٦١) مع الأدب الاسلامى د. أحمد جاد /١١ - ١٣ .

من الدراسات النقدية لقضية الالتزام :

عـــرض لقضـــية الالتزام فى النقـــد الأدبى للاســـتاذ الدكتور بدوى « طبانة » •

وقد تناول الأستاذ الدكتور بدوى طبانة قضية الالتزام فى النقـــد الادبى(٦٢)وذكر أنها من قضايا النقد الأدبى التى أصبحت مثارا للخلاف الشديد بين النقاد فى زماننا •

ويعنى أصحاب الدعوة الى « الالتزام » أن يتقيد الأدباء وأرباب الفنون فى أعمالهم الفنية بمادىء خاصة وأفكار معينة ، يلتزمون بالتعبير عنها ، والدعوة اليها ، ويقربونها الى عقول جماهير الناس ، ويحببونها الى قلوبهم •

واذا قيد الأديب نفسه بتلك الأهداف وقصر انتاجه عليها فهو الاديب الملتزم • « أما الأديب الذى لا يتقيد بتلك الأهداف ، بل يعبر عن ذاتيته وعن تجاربه وعواطفه وانفعالاته ، متحررا من سائر القيود التى تحد من حريته فى التعبير عن مشاعره فهو عندهم « أديب غير ملتزم »•

ويقـــول الدكتور بـــدوى :

ولا شك أن الدعوة الى الالتزام تحمل فى مضمونها اعتراف بقيمة الفنون بعامة ، والأدب بخاصة ، والاعتراف كذلك بتأثيرها البعيـــد فى حياة المجتمعات الانسانية ، وفى نفوس للذين يعيشون فيها ، لتنطلق فى سبيل الميادىء ودعوات الاصلاح التى رسمتها ، أو التى رسمت لها ، ولتحقق الغايات التى حددتها تلك الدعوات ، وتبشر الناس بالسعادة التى يمنيهم بها للدعاة اليها اذا التزموا بها ، وجروا فى مصارها •

ثم تناول الدكتور بدوى الكلمة فى اللغة ، والاصطلاح ، وظهـــور المصطلح فى مذهب « الواقعية الاشتراكية » ، وان الشىء الذى يقرر درجة الانتاج الفنى والأدب الواقعى فهو ما فى الصورة الفنية من قوة وقدرة على دعم الحياة الاشتراكية •

الوجوديون ـ أيضا ـ من دعاة الالتزام المتحمسين له ، وان يكن الوجوديون يفرقون فى الالتزام بين الأدب وسائر الفنون ، ويقولون انهم

---

(٦٢) انظر كتاب قضايا النقد الأدبى د• بدوى طبانة /٥٠ ـ ١٣٨

لا يريدون للرسم ولا للنحت ولا للموسيقى ان تكون ملتزمة ، او بالأحرى لا تفرض على هــذه الفنون ان تكون على قــدم المســاواة مع الأدب فى الالتزام .

بل ان الوجوديين يفرقون بين الشعر والنثر من ناحية الالتزام ، فيرون أن الكتابة النثرية هى مجال الالتزام لأن ميدان المعانى انما هو النثر ، أما الشعر فلا يوجبون الالتزام فيه .

ويعرض الوكتور الى وظيفة الادب وغايته فيبين أن الجدل والخلاف قد احتدم فى هذا الموضوع ، وتميز من هذا الخلاف مذهبان :

١ ـ ذهب بعضهم الى أن الأدب ، ذلك انفن الانســان الرفيع ، لايمكن أن تقتصر رسالته على المتعة والسلوى ، أو اللهو وتزجية الفراغ ، بل لابد أن تكون له غاية فى نشدان الحقيقة التى يبحث عنها الانسان ، ورسالة فى الخير ، أو تحقيق السـعادة ، وهى غاية الحيــاة الانسانية لا يحققها الأديب ، أو لا يحاول تحقيقها لذات الأديب فحسب ، ولكن ـ أيضا ـ للجماعة التى ينتسب اليها ، للانسانية كلها ، اذا استطاع الى ذلك سبيلا . وبذلك يستطيع الفن الأدبى أن يشارك فى بناء المجتمعات ، وصياغة حياتها صياغة جديدة .

٢ ـ وذهب آخرون الى أن الأدب « فن جميل » يستثير الشعور بالجمال ، وأن الجمال وسيلته التى يحقق بها فنيته ، وأن هذا الجمال هو فى الوقت نفســه غايته التى يسـعى الى تحقيقها .. فاذا استطاع الأديب أن يجيد تصوير تجربته الشعورية ، وأن يعبر عنها تعبيرا جميلا مؤثرا واستطاع ان يبعث المتلقى على الاعجاب بفنه ومشاركته فى العاطفة أو نوع الانفعال الذى وجده ، فقد حقق أهم ما يراد من العمل الأدبى تحقيقه ، لأن ذلك غرض فى ذاته ، واما ماعدا ذلك من معالجة الحقائق الكونية ، أو النظرات العقلية ، أو المبادىء الاصلاحية فليس شىء من ذلك غاية من غاياته .

٣ ـ ويقول الدكتور بدوى : وقد يكون هناك فريق ثالث يذهب الى ان ما يبدو فى الالتزام بغايات الحق والخير لا يتعارض مع الجمال الذى تحققه الفنية ، فاجتماع الغايتين ليس جمعا بين متناقضين ، واذا أخلص الأديب لفنه واستغرق فيه جره ذلك الاخلاص الى تقديس الجمال فى كل شىء ، وفى كل صورة ولا شىء أجمل من الحقيقة لطلاب الحقيقة ، ولا شىء أجمل من السعادة لطلاب الحياة .

ثم يبين الدكتور بدوى صلة ذلك بحرية الأديب ، فان فى تحديد الغاية أمام الأديب الزام وتقييد لحريته فى التعبير عما يشاء من الأغراض الذاتية التى يحس بالحاجة الى التعبير عنها .

وهذا الذى أسميته « الزاما » وليس التزاما .

ثم يذكر الأستاذ الدكتور بدوى أن المقصود بالالتزام فى النقد هو تقيد الناقد فى حكمه على الكاتب بما يتصف به انشاؤه من المشاركة بالفكر والعاطفة فى القضايا الاخلاقية والاجتماعية والوطنية والسياسية ، هل شعر الأديب بما شعر به أهله من آلام ويتصور ما يتصورون من أهداف ، أم يستغرق فى تأمل الجمال ، ويهيم فى عالم الوهم ، وينسى وطنه وأمته ؟.

فاذا رأى الناقد أن الشاعر لاه ببعض الصور الفنية التى لا تمت الى مشكلات مجتمعه بسبب ، كوصف عاصفة هو جاء ، أو شلال هادر ، أو نهير متجمد ، أو زهرة ذابلة ، أو تصوير غريزة جامحة ، أو تجربة ذاتية لا علاقة لها بمصير الانسان ، حكم عليه بالتقصير برغم اجادته فى الوصف والتصوير ، واذا رآه شديد الاهتمام بالصور الفنية المتعلقة بالحياة الوطنية والاجتماعية والقومية والانسانية ، حكم عليه بالاجادة .

وسبب ذلك أن الشعر ليس تخيلا وهميا ، وانما هو تخيل وادراك وان كان التخيل الجميل يرفعه الى عالم الوهم فان الادراك يربطة بعالم الواقع والحس .

أما حرص الأديب على وصف ما يحسه ، وما يؤثر فى مشاعرة هو بصرف النظر عن التزامه باية غاية من الغايات الكونية أو الاجتماعية فان معنى ذلك تمتعه بالحرية الكاملة التى لا تعرف القيود ، ولا تتوقف أمام السدود .

واذا كانت كلمة « الحرية » من أشهى الكلمات المحببة الى النفوس فذلك لعظم دلالتها ، وسمو معناها ، وتاثيرها البعيد فى حياة الأفراد والجماعات .

ويقول الدكتور بدوى : وتعنى كلمة « الحرية » الطلاقة من كل قيد والقدرة على التصرف وانفاذ الارادة المختارة . واحب الاعمال الى الانسان ما يجريه طواعية بارادته واختياره ، استجابة لذلك النزوع

الطبيعى الى الحرية والاختيار حتى لقد يتكلف الانسان ما يشق عليه ، بل يتجشم مالا يطيق فى سبيل ما يحب وما يختار ٠

ويقابل هذه الحرية القسر والالزام ، وهما مستلزمان الاستبداد والقهر وسلب الحريات ٠ وفى ذلك ما فيه من حمل النفوس على ما قد لا تحب ولا تؤثر ٠٠ بل ان العلم والثقافة والتهذيب وغيرها من ضرورات الحياة لا رسوخ لها فى الاذهان مع الكراهية أو مع الشعور بالارغام على تلقيها وتحصيلها ٠

واذا كان حرص الناس على الحـــرية كحرصهم على قوتهم الذى يقيمون به أودهم ، فان الأدباء اشـد حرصا على الظفر بتلك الحرية التى لا يبدعون بغيرها ، ولا يتحقق عنصر الصدق فيما ينتجون من أدب اذا فقدوها ، ولا تتعدد الوان الأدب ، ولا تتباين منازع الأدباء ، ولاتتميز شخصياتهم الفنية بعضها من بعض ، ولا يخلدون الا بالابداع الذى يميز بعضهم من بعض ٠

ويقول الدكتور بدوى طبانة :

ومن ابدع الآراء المأثورة عن النقاد العرب ما نادى به قدامة بن جعفر وقدمه على كل ما أراد من الحديث فى نقد الشعر ، وذلك فى قوله « ومما يجب تقدمته وتوطيده ـ قبل ما اريد أن اتكلم فيه ـ أن المعانى كلها معرضة للشاعر ، وله أن يتكلم منها فيما أحب وآثر من غير أن يحظر عليه معنى يروم الكلام فيه » ٠

وانا لست مع قدامة فى اطلاق هذا ، وخاصة اذا تذكرنا أن قدامة لم ير انتقاص قول امرىء القيس فى قوله :

« ومثلك حبلى ٠٠ » على الرغم من فحشه ٠

ويشير الدكتور بدوى الى شىء من آراء المعاصرين فى تلك الحرية ويذكر فى ذلك رأى الأديب الأستاذ شفيق جبرى الذى يرى أن الادب لا يجد سبيله الى تلطيف الذوق الا اذا كتبت له الحرية ويصرح بانه لا يكاد يفهم المقصود من الالتزام فى الأدب فاذا كان المقصد من الالتزام ان يغرض المجتمع على الأديب أفكاره ومعتقداته ، حتى لا يحيد عن هذه الأفكار ، وهــذه المعتقدات فى كتاباته ، وحتى يكون فى هــذا المجتمع آلة يحركونها ويسكنونها كيف شاءوا ، فخير للاديب أن يختار له صناعة غير صناعة الأدب « وبعد أن يعرض الدكتور بدوى هذا الاتجاه يذكر

ما يراه من خلاصة فى انه اذا كان هنالك التزام بمبدأ او فكرة فان تلك الفكرة ينبغى ان تنبع من ذات الاديب ، ومن أعماق نفسه ، ويستوى فى ذلك ان يكون المبدأ حقيقة اهتدى اليها الاديب ، او يكون مبدأ اعتنقه وامن بصوابه ثم جعل من نفسه مدافعا عنه او داعية اليه ، اذ ليس من الضرورى ان تكون التجربة التى ملكت على الاديب حسه وملأت مشاعره تجربة عاناها بنفسه ، بل انها كثيرا ما تكون تجربة غيره ، ومعاناة سواه ، ولكنه انفعل بها انفعاله بتجربته الذاتية فكأنها أصبحت تجربته الذاتية ، فاذا لم يتحقق الانفعال بالتجربة الذاتية ، أو التجربة الغيرية فليس من حق اى فرد او أى مجتمع ان يلزم الادباء بالتعبير عن اية فكرة او تجربة أو عقيدة لغيرهم مهما يكن من أسباب الاستحسان ، أو أسباب الايمان بتلك الفكرة أو العقيدة ، لانه اذا عبر عما لا يحس كان مضطرا او مكرها ، او كان كاذبا يفقد أدبه عنصر الصدق . واذا كان الأدب كذلك كان كلاما مصنوعا ، وبدا عليه أثر الزيف والتكلف » .

وبعد الحديث عن الحرية كما يراها الادباء والقراء وكما يراها النقاد يعرض الدكتور بدوى مذهبين فى الأدب والنقد ، وفى الفنون الانسانية بصفة عامة وهما مذهب « الفن للفن » والمذهب الثانى « الفن للحياة » وقد سادفهم هذين القولين على أنهما متقابلان ، اى ان القائلين بنظرية « الفن للفن » يعزلونه عزلا نهائيا عن الحياة ، أو لعلهم يريدون بهذه العبارة ان ليس للفن وظيفة يؤديها فى الحياة ، وأن الذين ينادون بأن الفن للحياة لا يقدرون هذا الفن الا بمقدار ما يحقق للحياة أو للأحياء .

والعبارة المشهورة « الفن لأجل الفن » قد يراد بها أن الفن شىء يستحيل تقديره اذا حكمنا عليه بأمور خارجة عن طبيعة الفن .. وليس هذا الفن مطالبا بان يكون ذا فائدة مادية او خلقية ، وانما الذى يكون أمام الناقد هو التعبير ، وحسبه منه انه تعبير ، يعجبه منه التعبير لنفسه ولذاته . اى ان الفن – هنا – لا يخرج بنا الى دائرة غير دائرة الفن نفسه ، ولا يطلب منا ان نحكم فى أمر خارج عن الفن .

أما القول بان وظيفة الادب هى أن يعلمنا أمرا ، أو يقنعنا بصحة شىء ، أو يحسن من اخلاقنا ، فهذا كله يخرج بنا عن فن الأدب .

ومن الممكن أن يؤدى الأدب كل هذه الاشياء ، ولكنه لم يكن أدبا لمجرد اذائه لها . كذلك ليس من وظيفة الأدب ان يكون جميلا بل الأصح أن نقول ان من الأشياء التى تجعلنا نحكم بأن الأدب جميل أن يؤدى

وظيفته تمام الأداء أما تلك الوظيفة التى يؤديها الأدب بتغييره عن التجربة ، فهى أن يجعل التجربة ذات مغزى بنفسها ، من غير حاجة الى أن نحكم عليها بأنها صادقة أو صحيحة ، أو نافعة أو مهذبة • وكل تاليف أدبى – مهما تكن التجربة التى اشتمل عليها محدودة – يعطينا مثالا من تلك التجارب التى نحن فى أشد الحاجة اليها ، وذلك بفضل الصورة التى يتخذها فالصورة فى الأدب هى التى تجعل للتجربة مغزى •

ويذكر الدكتور بدوى أن موضوع القيم فى الآداب والفنون ، واتصالها بحياة الناس والمجتمعات قد تناوله كثير من النقاد وكثير من علماء الجمال ، وفلاسفة الاجتماع والفن والأخلاق ، واختلفوا إختلافا واضحا فى غاية الأدب وفى حرية الأديب ، وكان منهم من حاول التوفيق بين الرأيين ، ونفى التعارض بين المذهبين •

ومن نقادنا المعاصرين من شارك فى تلك الخصومة ، وادلى بصريح الرأى فى طبيعة الفن الأدبى ووظيفته فى الحياة • ومن هؤلاء النقاد الدكتور طه حسين الذى يقول : ان أصحاب الأدب فى سبيل الحياة اذا سالتهم عن هذه الحياة التى يريدونها لم تجد عندهم جوابا مقنعا • ويتحدى الدكتور طه انصار فكرة « الأدب فى سبيل الحياة » وامثالهم أن يدلوه على أدب قديم أو أدب حديث لم يتجه الى ارضاء الحاجة الانسانية ، وقد يذكر أصحاب هذه الفكرة غيرهم من الذين يدعون لفكرة « الفن للفن » وينصحهم الدكتور طه بأن يحتاطوا فى حديثهم عنهم ، لأن الذين يريدون « الفن للفن » لا يرتفعون بانفسهم عن الجماعات الانسانية ولا يجعلون أنفسهم ملائكة ، ولا يعيشون فى السحاب ولا يلتزمون هذه الخرافة التى تسمى « البرج العاجى » ولكنهم يرون للجماعة الانسانية نفسها كما يرون لأنفسهم الارتفاع بين حين وحين عما يتصل بالمنافع العاجلة القريبة الى ما هو ابقى منها وارقى •

أما توفيق الحكيم فانه يجعل الامتاع أهم غايات الأدب والفن ، ويقول : أما اذا كان فى الامكان وجود فن يخدم المجتمع دون أن يفقد ذرة من قيمته الفنية العليا فانى أرحب به ، وأسلم على الفور بانه الأرقى ولكن هذا يتهيأ الا للافذاذ الذين لا يظهرون فى كل زمان •

ويقول الدكتور بدوى : ومن الواضح أن فكرة الفن الخالص ، أو فكرة الفن الصرف ، التى يقوم الفن الأدبى على أساس ما فيه من

خصائص الفن وهى قوة التعبير ووضوحه ، وجماله ، هذه الفكرة لا تروق للالتزاميين الذين يرون فى « قوة التعبير » خطأ جسيما للجماليين أو للأسلوبيين الخلص ، وهذا الخطأ يكمن فى اعتقادهم أن الكلام نسيم يجزى لطيفا على سطح الأشياء ، ويمسها مسا رقيقا دون أن ينالها بتغير ، ثم اعتقادهم أن المتكلم لابد وان يكون مشاهدا للأشياء يختصر فى كلماته تاملات غير ذات منال .

ثم يتناول الدكتور بدوى مبحثا آخر فى الالتزام الحقيقى « ويقصد به الالتزام بالحقائق ويعده من أهم مقاييس الالتزام التى عرفتها الانسانية ، وعرفها النقد الأدبى ، كما يعد من أقدم تلك المقاييس التى استخدمها الانسان فى تقدير الأشياء والحكم عليها ..

وقياس الأدب بمقياس الحقيقة هو قياسه بمقياس المعرفة المبنية على التثبت واليقين ، وذلك على اعتبار وجوب الثقافة وتوافرها لدى الأديب ، ليكون على وعى وبصيرة بضروب من المعرفة تلزمه جانب التنقل والتفكير ليشيع ذلك فى ثنايا ما يصدر عنه ، أو ما يؤلفه من الأعمال الأدبية ..

وليس معنى ذلك أن يكون الأديب مطالبا بالعلم بدقائق الأشياء عارفا بأسرار الحقائق ، لأن ذلك ليس مجاله الطبيعى ، وانما هو مطالب بما لا يخفى ادراكه على أوساط الناس فى الأقل ، أو هو مطالب بمعرفة البدهيات التى يوصف بالجهالة من لا يعرفها ، وليس عليه أن يجهل ما لا يضربه الجهل ، وما لا يصبح الجهل به مذمة وعارا لأوساط الناس ، فاذا ترقى فى سبيل المعرفة درجة بعد درجة كان ذلك أتم لاداته ، وأحكم لفنه ، وادعى الى تقدير الناس له ، واكبارهم لفنه الذى يجعل له بينهم مكانا ممتازا .

ويعرض الدكتور بدوى لتقسيم ارسطو للاخطاء التى يمكن ان تقع فى الشعر فى قسمين :

١ ـ الاخطاء الجوهرية :

وهى التى لها صلة مباشرة بالفن الشعرى ، كما اذا حاول الشاعر أن يصف شيئا ، أو يحاكى أمرا من الأمور فاخفق لضعف موهبته ، أو ضعف قدرته على التعبير ، فان الخطأ حينئذ يكون راجعا الى الجوهر ، أو الى صناعة الشعر نفسها ..

٢ ـ الاخطاء العرضية :

وهى الاخطاء التى لا ترجع الى صناعة الشعر بأن يتصور الشىء تصورا فاسدا ، مثل أن يتصور ان الجواد يقذف بكلتا قدميه اليمنيين الى الامام فى وقت واحد ، أو اذا كان خطؤه راجعا الى علم خاص كعلم الطب مثلا أو اى علم آخر . فكل هذه الاخطاء اخطاء عرضية لا ترجع الى صناعة الشعر نفسها ..

ويقول الدكتور بدوى : ويتضح من هذا الكلام اننا أمام دفاع عن الشعر والشعراء ، أو أمام محاولة لتسويغ ما قد لا تتقبله الاذهان مما يخالف ما عرفته من حقائق الاشياء وتصور مفهوماتها ، وهذا التسويغ لا يعدوا ان يكون مظهرا من مظاهر التعاطف بين الناقد والأديب ..

فامامنا فكرتان الفكرة الفنية ، أو مبدأ التحرر من سائر القيود التى تحد من حرية الأديب سوى قيود الفنية التى يختص بها ، والتى تبدو فى الاجادة فى تصوير التجارب التى أراد محاكاتها او التعبير عنها ، أو ان الأديب مطالب باجادة عرض ما يعانيه أو ما يؤثر فيه من التجارب أيا كانت التجربة ، وأيا كان ذلك المؤثر ومهما يكن مخالفا لما يراه العقل ، أو يوجه الحق ، أو مناقضا لما قاله هو فى وقت آخر ، والفكرة الأخرى فى الالتزام بالحقائق .

وقد وجد الرأيان فى تاريخ النقد الأدبى عند العرب ، ويقول الدكتور بدوى : ومن العسير حصر الآراء الكثيرة التى توصى بالخير وتنادى بالصدق وتدعو الى الحق ، لانها أكثر من أن تحصى ، وأوضح من أن يستدل عليها ، أو يستشهد بها ، وهى على أى حال تستمد من فضائل النفوس العربية ، ومن روح الاسلام ، ومن طبيعة الجنس العربى الذى يغلب عليه طابع الجد فى تناول الأمور ، وعدم السكوت على ما لا يرضى ، أو على ما يعتقد أن فيه خروجا على المنطق والصواب ومن ذلك تقرير معنى من المعانى فى كلام والاتيان بالمعنى الذى يقابله فى الكلام نفسه ، وفى الحال نفسه فذلك نقض للمعنى الأول وهو معيب عند قدامة بن جعفر يسميه « الاستحالة والتناقض » ، وهو عنده أن يورد الشاعر فى بعض شعره معنى ، ثم يعود فينا قضه فى ذلك الشعر نفسه ، لان الجمع بين المعنى وما يقابله تناقض فى الكلام ، واستحالة فى نظر العقل ، وان كان ذلك العيب ليس مخصوصا بالمعانى الشعرية ،

بل هو لاحق بجميع المعانى التى تعرض للكاتب أو الشاعر أو الخطيب ، أو فى الجدل وفى لغة الخطاب ..

وحسن الثقة بعقلية الأديب وسلامة تفكيره ، والاطمئنان الى حسن تقديره للأمور ، من أعظم الدواعى الى الثقة به ، وتقدير أدبه ، وحمل الناس على تصديقه فيما يقول ، وعلى التأثر المنشود بعمله الأدبى ، وسبيل تلك الثقة التى تحمل على التصديق الا يخرج الكاتب أو الخطيب ، أو الشاعر ، فى المعانى التى يعرضها على طبائع الأشياء ، والا يخالف ما هو معروف من بدهيات الأمور ، لأن ذلك يقدح فى قوة ادراكه ، ويهون الثقة بمعرفته وثقافته ، ويفتح امام النقاد بابا للطعن فى عقليته ، ووصفه بالجهل ، وبخاصة اذا لم يتحقق بتلك المخالفة أو ذلك الخروج فائدة واذا كان سبيل العلم غير سبيل الفن ، واذا كان ليس من المفترض أن يكون الأديب عالما أو مقررا لحقائق الأشياء كما هى فليس من المقبول أن يتخذ ذلك ذريعة لمخالفة العرف أو الخروج على بدهيات الأمور التى لا تخفى على عوام الناس ، بله الصفوة المستنيرة الممتازة من الأدباء ..

وبعد أن يقدم الدكتور بدوى نماذج من الاحالات قديما وحديثا يقول : ولكن أصح الآراء وأقربها الى المقبول والمعقول هو الرأى القائل بأن الشاعر لا يطالب بالحقائق أيا كان نوعها فى شعره ، ولكنه اذا عرض لها عليه الا يخطىء فيها خطأ ينكره الناس ، ويفطنون الى ما فيه من آثار التهافت أو الجهل . وهو والرأى الذى ذكره القاضى الجرجانى فى قوله أنه ينبغى الا يؤاخذ الشاعر بتلك الدقائق الفلسفية ما لم يأخذ نفسه بها ، ويتكلف التعمل لها ، فيؤخذ فيها حينئذ بحكمه ، ويطالب بما جنى على نفسه ..

وهو القول الذى قاله العقاد « ليس الشاعر مطالبا بالقضايا العلمية ولا بالدقة التاريخية . ولكن هل هو مطالب بنقص القضايا المقررة ، ومسخ الأخبار الثابتة ؟ ليس من الضرورى ان يقول لنا الشاعر ان (٥+٥=١٠) ولكن هل من الضرورى أن يقول(٥+٥=٨ مثلا أو ١٢) ؟ .. واذا لم يذكر الشاعر فى قصيدة ان نابليون ولد فى سنة ١٧٦٩ بجزيرة كورسيكا فليس من يلومه على هذا الاهمال ولكن هل لو ذكر انه ولد فى القرن الخامس للميلاد ببلاد اليابان ، أتراه كان يسلم من اللوم لأنه ليس بالعالم المحص للقضايا ، ولا بالمؤرخ المحقق للأخبار والأقدار ؟ يجب الا يخالف الشاعر ظاهر الحقيقة لا يكون كلامه أوفق

لباطنها فاما أن يتخبط فى تأويله يمينا وشمالا ، مخالفا ظاهر الحقيقة وباطنها ، مدابرا أحكام الحس والعقل والصواب ، لغير غرض تستلزمه خدمة الحقائق النفسية ، أو تصوير الضمائر الخفية ـ فذلك سخف ليس من الشعر ولا من العلم(٦٣) ٠٠

وقد أشار العلوى(٦٤) الى ذلك فى قوله : ان الفهم يأنس من الكلام بالعدل والصواب الحق ، والجائز المعروف المألوف ، ويتشوق اليه ويتجلى له ويستوحش من الكلام الجائر ، والخطأ الباطل ، والمحال المجهول المنكر وينفر منه ، ويصدأ له ٠

ويعرض الدكتور مسألة الكذب لاتصالها بالحديث عن الحقائق فيبين المقصود بالكذب هنا وهو تجاوز حقائق الأشياء ، وهى الحقائق المعروفة التى تتكون منها ماهياتها ، والتحدث عنها بغير هذه الحقائق ، أو أن يكون لتلك الأحاديث أصل ، ولكن الشعراء لا يلزمون ولا يقفون عنده ، بل انهم يسرفون فى هذا الأصل ، ويغلون ويبالغون فيه حتى يجاوز دائرة المعروف الممكن الى دائرة المستحيل الذى لا يقع وقد يرى قوم من النقاد فساد ذلك التجاوز ، ويرون أن المبالغة فى وصف الأشياء لا يكاد يستعملها الا من عجز عن استعمال المألوف والاختراع الجارى على الأساليب المعهودة ، فيعمد الى هذه المبالغة ، ليسد خلل بلادته ، بما يأتى به من التهويل ، فيخرج بالكلام الى حد الاستحالة ٠

ولكن فريقا آخر من النقاد ومنهم قدامة بن جعفر يرون أن الغلو أجود المذهبين ـ الغلو والاقتصار على الحد الأوسط ـ ويقولون انه رأى العالمين بالشعر والشعراء قديما ، فقد قال قائلهم « أحسن الشعر أكذبه » أو « أعذبه أكذبه » ٠

ويتناول الدكتور بدوى طبانة بعد ذلك التزاما آخر هو الالتزام الخلقى فيرى أنه من أهم القضايا التى يثيرها النقد الأدبى فى هذا الزمان وهى قضية المضمون الأدبى وعلاقته بالفكرة الخلقية وقواعد السلوك الانسانى ، أو بعبارة أخرى ومحاولة تقويم الأدب على أساس ما تضمن من معانى الفضائل ، وأشاد بها ورغب فيها بما صورها فى صورة زاهية تبعث فى نفوس المتلقين اعجابا بها ، وتقديسا لمبادئها

---

(٦٣) وانظر فصول من النقد عند العقاد ٢٣٤ ٠
(٦٤) وانظر عيار الشعر/١٤ ٠

وكذلك عرض الرذائل بصورة تشمئز منها النفوس ، وتحملها على النفور منهـا .

ونلك ضرب من ضروب « الالتزام » أوجبـه الحكماء وفلاسـفة الأخلاق منذ كانت الفكرة الخلقيـة ، ومنذ كان لها اشـباع يدعـون اليها ، ويدافعون عنها ، ويحاربون الرذيلة موضحين اضرارها وما تؤدى اليه من ضروب الفساد والانحلال للمجتمعات الانسانية .

وهؤلاء يؤمنون بالدور الذى يؤديه الفن الأدبى فى حيـاة الأفراد والجماعات ويعرفون قبل ذلك مدى تقبل النفوس له وارتياحها اليه ، بما يحدث فيها من المسرة والامتاع .

وبعد أن يعرض آراء اليونانيين فى هذه القضية يعلق عليها فيقول : وفى هـذه الآراء الواضحة التى تمثل أقدم الآراء التى قيلت فى النقـد الأدبى منذ عرفت الانسانية الفن الأدبى ونقده يتأكد الحرص على المثل الاخلاقيـة ، وهى المثـل الفطريـة التى وجهت المفـكرين نحو الخـير والفضيلة وارتقت بالانسانية من حيـاة الفوضى ، والهمجية الى حيـاة الطهر والعفاف ، واتجهت بها الى حياة متماسـكة متكاملة ، وبنـاء مجتمعات سليمة تطرح فيها حيـــاة اللهو والمجون والخلاعة ، وتقهـر النفس الانسانية الامارة بالسوء ، والمتمردة على كل ما يقيد حريتها من القيم والفضـائل ، ويحد من نزواتها الذاتية فيما تعمل وفيما تقول حذراً من فتنة النفوس واغرائها بتجارب تعود عليها بالخزى والعار : وعلى مجتمعاتها بالتفكك والانحلال .

وقد عرف الأدب العربى طائفـة كبيرة من الاعـلام صانوا أدبهم وشعرهم عن الكشف والابتذال فاكبرهم الناس بهذا الصـون ، وصاروا نصراء للفضيلة ومكارم الاخـلاق ، وتباهوا بالترفع عن الدنايا وعما يحل بمروؤات الرجـال ، وفخروا بعفتهم ، ومدحوا بالعفـة فى السـلوك ، وبالعفة فى القول .

ويقدم الدكتور بدوى حوارا دار بين علم من أعلام الزهد والمعرفة ، واحد الباحثين عن مفهوم البلاغة ومعناها من وجهة نظر ذلك الزاهد وهو عمرو بن عبيد ، وكما رواه أبو عثمان الجاحظ(٦٥) على النحو الآتى :

---

(٦٥) وأنظر البيان والتبيين ١/١١٤ .

— ما البلاغة ؟

— ما بلغ بك الجنة ، وعدل بك عن النار .. وما بصرك مواقع رشدك وعواقب غيك .

— ليس هذا أريد

— من لم يحسن أن يسكت لم يحسن أن يستمع ، ومن لم يحسن الاستماع لم يحسن القول

— ليس هذا أريد

— قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم « أنا معشر الأنبيا بكاء » أى قليلو الكلام ، وعنه قيل : « رجل بكىء » . وكانوا يكرهون أن يزيد منطق الرجل على عقله .

— ليس هذا أريد

— كانوا يخافون من فتنة القول ومن سقطات الكلام ، ما لايخافون من فتنة السكوت ، ومن سقطات الصمت .

— ليس هذا أريد

— فكانك انما تريد تخير اللفظ ، فى حسن الافهام .

— نعم

— انك ان اوتيت تقرير حجة الله فى عقول المكلفين ، وتخفيف المؤنة على المستمعين ، وتزيين تلك المعانى فى قلوب المريدين، بالألفاظ المستحسنة فى الآذان ، المقبولة عند الاذهان ، رغبة فى سرعة إستجابتهم ونفى الشواغل عن قلوبهم ، بالموعظة الحسنة على الكتاب والسنة ، كنت قد أوتيت فصل الخطاب ، واستحققت على الله جزيل الثواب .

فهذا هو مفهوم البلاغة عند عمرو بن عبيد الذى استخرجه وفهمه من كتاب الله تعالى ومن سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، حيث يجد المسئولية عن الكلمة ، والأمر بالاحسان فيها « وقال لعبادى يقولوا التى هى أحسن »(٦٦) ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد(٦٧) « وقول النبى صلى الله عليه وسلم » :

---

(٦٦) سورة الأسراء/٥٣ .

(٦٧) سورة ق/١٨ .

ان العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يلقى لها بالا يرفعه الله بها درجات فى الجنة ، وان العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقى لها بالا يهوى بها فى جهنم(٦٨) .

ومما يتفق مع هـذه النظرة تقسيم عبد الكريم بن إبراهيم النهشلى للشعر(٦٩) وتصنيفه له كما يلى :

* شعر هو خير كله ، وذلك ما كان فى بـاب الزهـد والمـواعظ الحسنة ؛ والمثل العائد على من تمثل به بالخير ، وما أشـبه ذلك .

* وشـعر هو ظرف كلـه ، وذلك القول فى الأوصـاف والنعوت والتشبيه وما يفتن به من المعانى والآداب .

* وشـعر هو شر كله ، وذلك الهجـاء ، وما تسرع به الشـاعر الى أعراض الناس .

* وشعر يتكسب به وذلك أن يحمل الى كل سـوق ما ينفق فيها ، ويخاطب كل انسان من حيث هو ويأتى اليه من جهـة فهمه . ويقول الدكتور بدوى معلقا على هذا التقسيم .

ومن الواضح أن أحق هذه الصنوف بالتقدير من وجهة نظر الناقد ، هو الصنف الأول الذى يجمع الخير والزهد والعفة والموعظـة ، وان الصنف الثانى يهدف الى السلوى والامتاع بما يحوى الشـعر من معالم الفنية وخصائصها ، أما الصنفان الآخران اللذان يقصـد بأولهما الهجاء والقذف ، ويقصـد بالآخر منهما الى التكسب والزلفى بالثناء الكاذب ، والملق الممقوت فهما أحط ألوان الشعر .

ويقرر الدكتور بدوى أم فكة الالتزام الخلقى فى الفن الأدبى وغيره من الفنون هى أقدم دعوات الالتزام وأبقاها على الزمن وان اشـياعها من الكثرة بحيث يعز احصـاؤهم . وما أكثر الكتابات التى كتبت فى تاييدها ، لأنها تمثل فكرة الأغلبية الغالبة من البشر .

---

(٦٨) رواه مالك والبخارى واللفظ له والنسائى والحـاكم وقال صحيح على شرط مسلم . أنظر الترغيب والترهيب ٣/٥٣٦ حديث ٤٢ .
(٦٩) العمدة لابن رشيق ١/١١٨ .

ومع ذلك وجدت الفكرة المقابلة وهى فكرة التحرر من القيود الخلقية والمثل الدينية فى الفن الأدبى ٠

وهؤلاء انما يقيسون الأدب بمقياس واحد هو مقياس الامتاع والاحساس بما يتوافر فيه من سمات الجمال الفنى فى التعبير ، وفى التخييل ، وفى التصوير ٠

وليس معنى ذلك أن أولئك النقاد جميعا يتنكرون للقيم الانسانية والمبادىء الاخلاقية فى حد ذاتها ، أو يقللون من آثارها البعيدة فى حياة الأمم والشعوب وسعادة الانسان ، ولكن الذى ينكرونه هو أن يتقيد الأدباء بتلك القيود فى كل ما يؤلفون من أعمال أدبية ، أو ان يلزموا بغير ما لا يعنيهم أن يلتزموا به من الأهداف والغاية ، وقد يجمع العمل الأدبى بين المثالية الخلقية والجودة الفنية ، وهو حينئذ عندهم من الأعمال الجديرة بالتقدير ولكنهم لا يعيبون مع ذلك العمل الأدبى اذا خلا من تلك المثالية بل هو لا ينكرونه اذا افتات عليها ، وغالى فى نصرة اضدادها ٠

ويذكر الدكتور بدوى أن هذا القرن الذى نعيش فيه أخذت تتردد فى مجالات الأدب والنقد عبارة « الأدب المكشوف » ٠

ومضمون هذه العبارة معرق فى القدم اذ هو البوح بما رأت الانسانية انه يجمل اخفاؤه ، والكشف عما تستحى من الكشف عنه وتحرص على ستره من الأسرار والخفايا التى تنكر البوح بها الأذواق السليمة وتقف الألسنة الشريفة عن قوله أو ترديده ٠

وقد كان ظهور هذا الأدب المكشوف فى الأدب الحديث سواء فى الشعر أو فى القصص صورة لشيوع هذا اللون فى الأدب الأوربى الحديث بعد الحرب العالمية الأولى ٠

وقد حمل على هذه الدعوة جماعة من النقاد والأدباء منهم المازنى الذى جعل الأدب المكشوف شبيها بالنزعة الى العرى عن اللباس ٠

وفى ختام هذا الفصل يجعل الأستاذ الدكتور بدوى طبانة النتائج فى ست عشرة نتيجة ٠

وهذه الدراسة لقضية الالتزام قد استوعبت جوانب القضية ، وتناولت الأقوال المتضاربة فى تفاصيلها ٠

عرض « التزام الشعر » :

للأستاذ الدكتور « محمد غنيمى هلال » :

وأما الأستاذ الدكتور محمد غنيمى هلال فقد تناول القضية ايضا ـ فى كتاب « النقد الأدبى الحديث » تحت عنوان « التزام الشعر »(٧٠) .

ويبدأ تناوله للموضوع بتساؤلات عن عناصر الشعر ، وما العلاقة بين هذه العناصر ومعنى الشعر ؟ وما مدى أهمية المضمون فى التجربة ، وهل ينظم الشعر لذات الشعر ؟ أم هل ينظم لنقد الحياة ؟ وأى فرق بين الشاعر والناثر فى صلتهما بالمجتمع ؟ ولعل تخصيص الدكتور محمد غنيمى للشعر لدراسة موضوع الالتزام لوجود الجدل حول الشعر بصفة خاصة ، وبصورة أوضح من النثر ، ولوجود بعض النظرات الى الشعر تجعله الهاما خاصا لا يتحكم فيه الشاعر تحكم الناثر فى عمل نثرى .

ويذكر اتجاه العصر الحديث فى التزام الشاعر بمعنى مشاركته قومه فى قضاياهم الانسانية والوطنية ، أو فى تركه طليقا مجنح الخيال ما بدا له . ويعالج فى هذا الجزء الصلة بين الشعر والفكر وبين الفكر والمجتمع ، فيشرح معنى « الشعر الخالص » ، « والشعر لذات الشعر » ، ويجعل ذلك تمهيدا لقضية « الالتزام » .

وفى تناول الدكتور محمد غنيمى لقضية الشعر الخالص يرى أنها من قضايا النقد الحديث التى لم توجد الا بعد أن تقدم علم الجمال وقد نشأت فى كنف « الرمزية » وظلت أثرا من آثارها .

ويقصد « بالشعر الخالص » توافر العناصر التى هى جوهر الشعر فى صياغة التجربة ، وذلك أن جوهر الشعر ـ فى نظر أصحاب الشعر الخالص ـ هو حقيقة مستسرة عميقة ايحائية ، لا سبيل الى التعبير عنها بمدلول الكلمات ، بل بعناصر الشعر الخالصة ، وهذه العناصر الخالصة غير مقصورة على جرس الكلمات ، ورنين القافية ، وايقاع التعابير ، وموسيقا الوزن ، فهذه كلها لا تصل الى المنطقة العميقة التى يختمر فيها الالهـــام .

---

(٧٠) أنظر كتاب « النقد الأدبى الحديث »/٤٧٦ ـ ٤٩١ .

ولكن اذا وضعت الكلمات فى مواضعها الايحائية الحق ، وصدرت فى ايقاعها وموسيقاها عن استجابة خالصة لاعماق النفس ، وعن حميا فنية ، فانها تشف عن اجواء روحية رحيبة •

ويقرب معنى المدلولات الشعرية بمثال يقول فيه : اذا سمعنا من ينادى : « الى اين ذهب الخادم » ؟ أو اصغينا الى ابراهيم ناجى فى قصيدته : العودة •••• حين يقول :

اين ناديك ؟ واين السمر ؟ اين اهلوك بساطا وندامى ؟

فالاذن تسمع الجملة الأولى كما تسمع البيت ، والعقل يقف على مدلول الكلمات فيهما • فيفهم معناها على حسب قواعد اللغة العامة وأوضاع الكلمات وهذه هى حدود العقل • والتجربة تدلنا ـ عادة ـ على أن الجملة الأولى تنتهى الغاية منها عند فهمها • وتدعنا فى حالتنا الطبيعية على حين يترك فينا الاستفهام فى البيت اثر آخر يتمثل فى هزة نفسية ، اذ يوحى الينا ـ مجردا عن القرآئن الأخرى ـ بموقف خاص : عودة من سفر طويل أو قصير • مفاجاة المنازل ، وقد اوحشت بعد انس ، ذلك الماضى الحبيب الغنى بذكرياته وملذاته •• وتلك الهزة النفسية ، وذلك الموقف الخاص ، يتجاوزان مجرد المدلولات اللفظية وفيهما يظهر الفرق بين الايحاء الشعرى ـ والدلالة النثرية المحضة كما هى الجملة المذكورة قبل البيت السابق ، وهذا هو الشأن فى التجارب الشعرية بعامة لا تعتمد الا على العناصر الايجابية الخالصة •

اما عناصر الشعر غير الخالصة ـ فى نظر هؤلاء ـ فهى الموضوع أى ما يفهم من العنوان عامة ، ثم الافكار المدلول عليها فى الشعر الذى نظم فى ذلك الموضوع ، ومعنى كل جملة ، والتتابع المنطقى للافكار ، والتدرج فى الدلالة على التجربة ، وتفضيل الوصف ، والمشاعر المثارة اثارة مباشرة ، وبالجملة : جميع الافكار والمشاعر والصور المباشرة ، فتلك كلها ليست جوهر الشعر ، عند دعاة الشعر الخالص ، وان كانت حين تنتظم فى العناصر الايحائية ـ تكتسب ذلك التيار المستمر الذى تحدث عنه •

ولكن هل يمكن أن توجد تلك العناصر الخالصة مستقلة قائمة بنفسها ؟ وبعبارة أخرى : هل هناك وجود للشعر الخالص قائم بذاته ؟ •

ويقول الدكتور محمد غنيمى : هذا ـ طبعا ـ مالا يمكن ان يكون ، لأن الشعر كلام ، وللكلام مدلول لغـــوى ، والا كان ضربا من العبث ، وهذا المدلول يعد من العناصر غير الخالصة فى نظر هؤلاء .

ويعترف كبار دعاة الشعر الخالص الا وجود لهذا الشعر مستقلا عن العناصر غير الخالصة .

ويستنتج الدكتور أن للمضمون ـ اذن ـ قيمة ، حتى فى نظر دعاة ذلك النوع من الشعر ، ويبلغ الشعر الخالص قمته اذا تضافر المضمون والصياغة واحكما حتى أصبح لا يستطاع فهم ذلك المضمون الا فى تلك الصياغة ، بحيث يكون كل تغيير فى تلك الصياغة ضارا بالمعنى ، فيصبح قالب الشعر الشكلى محكما فى الايحاء بالمعنى ايحاء لا يغنى فيه غير ذلك القالب ، وهذا أمر لا يتوافر الا اذا بلغ الشـــعر درجة من الكمال يعـز وجـــودها .

ويتساءل الدكتور غنيمى عن قيمة المضمون ـ وهل يمكن أن يكون الشعر نفعيا كالنثر ؟ وما مدى صلة التجربة الشعرية بالقيم الاجتماعية ؟ ويرى ان هذه المسائل تمس قضية الشعر للشعر ، وهذه فرع من قضـــية « الفن للفن » عامة ولكنها احدث منها نشأة لأن أكثر النقاد الذين يدعون الى ان للأدب غاية يعدون الشعر ـ فى معناه الحديث ـ مخالفا للنثر فى طبيعته ، وموقفه من قضايا المجتمع ، فيعفون الشعر من الالتزام بهذه الرسالة ، ولكن بعض النقاد يسوون بين الشعر والنثر فى وجوب خدمة الشعر لقضايا الوطن والانسانية . وهؤلاء يخالفون قضية « الفن للفن » فى النثر والشعر على سواء . وقديما رأينا افلاطون يدعو الى غاية تربوية خلقية للشاعر ، وكذلك أرسطو ، وان كان أرسطو لا يقصد سوى شعر المسرحيات ، والملاحم فى دعوته .

ولا يزال من بين نقاد اليوم من يرون فى الشاعر مثال الانســـان الخلقى لعصره ولا يقصدون بذلك انه يدعو حتمـــا الى القيم الســـائدة المصطلح عليها ســـلفا ، بل يقصـــدون الى انه يبين لمعاصريه مثالب ما يسيرون عليه ، وفضائل الطريق المثالى التى يحبنونها لو اتبعوا دعوة الشاعر ، فيصلح ادراكهم ، ويقوم نظراتهم ، ويقيم ما انحرف منهم ولو أنهم استمعوا لدعوته ، وتم له ما أراد منها لكان حـــرا بعد ذلك فى ان يدعوهم من جديد الى نظام خير مما سبق ان دعاهم اليـــه متى تراءى له ، وبهذا يكون فى سير دائب نحـــو وحدة مثالية موضوعية ، ويكون مشاركا لعصره قائدا له ، غير متخلف عنه ويرى هؤلاء ان قيمة

التجربة فى الشعر تقوم ضد فكرة الشعر للشعر ، ثم أن وجود قيم فنية مستقلة ليس معناه ان هذه القيم غاية فى ذاتها ، ولا ينبغى ، بسبب ذلك عزل التجربة الفنية عن القيم الاخرى ، أو التهوين من شأن هذه القيم ولابد من اعتبار التجربة فى مكانتها بين التجارب الانسانية الاخرى ، وهو أمر خارجى مهما كانت طبيعة التجربة ، والتجربة تستلزم ارتباطا خاصا بين عالم الشعر والعالم الخارجى على ان من المسلم به انه يجب تخليص عالم الشعر من كل ما هو فردى محض ، لتكون التجربة انسانية مشتركة وفى النظر الى القيمة الفنية وحدها اغفال لقيمة التجربة ومكانتها فى الحياة ، وفيه اغفال لقيمة الشعر كذلك ، ودعوة أولئك النقاد جميعا تقوم فى وجه دعاة الشعر للشعر . على أن دعاة الشعر للشعر لا يغفلون شأن التجربة الشعرية ـ كما قد يسبق الى الذهن ـ ولكنهم يعدونها غاية فى ذاتها فلا يربطونها بالقيم الاجتماعية أو الانسانية وقد يكون للشعر قيمة لاحقة ثقافية ، أو دينية ، أو تعليمية ، أو نفسية من أى نوع من انواع النفع ، ولكن قيمته اللاحقة ـ ايا ماتكن ـ لادخل لها فى تقومه ، لأن ذلك يحط من قدر الشعر فى نظرة دعاة الشعر للشعر ، ويقيد من حرية الشاعر ، ويتنافى وطبيعة الشعر بوصفه تجربة نفسية مستقلة تتجاوز جانب الواقع المحض فى نظر هؤلاء .

ويقول : ثم ان قضية الشعر للشعر لا تقطع صلة الشعر بالحياة فى رأى انصار الشعر للشعر .

ولكن الشاعر فى نظر دعاة الشعر للشعر لا يقصد الى أمر نفعى أو كفاح اجتماعى ، بل الى مجرد تصوير التجربة ، لاثارة المشاعر الخاصة بها بوصفها مشاعر ، لا بوصفها وسيلة من وسائل اللهو ، أو غاية من الغايات الاجتماعية .

على أن مقومات الشعر هى السمو الفنى ، واذا تساوت قطعتان فى هذا السمو الفنى وكانت احداهما وصفا صادقا لتجربة حيوانية مسفة ، والأخرى لتجربة انسانية عالية ، فلا شك ان للثانية فضلا على الأولى .

وهذه الاراء السابقة لها صلة بقضية « التزام الشاعر » أو عدم التزامه فى العصر الحاضر ويراد بالتزام الشاعر ـ كما يرى الدكتور محمد غنيمى ـ وجوب مشاركته بالفكر والشعور والفن فى قضايا قومه الوطنية والانسانية ، وفيما يعانون من الآم وما يبنون من آمال ، فليس له ـ مثلا ـ ان يستغرق فى التامل فى الجمال الخالد والخير المحض « على حين يعانى وطنه ذل الاحتلال ، أو عناء الطغيان ، وليس له أن يسترسل

فى خيالاته ومشاعره الفردية على حين وطنه من حوله أو طبقته الاجماعية فى وطنه تجاهد فى سبيل آمال مشتركة ثم يذكر الدكتور ان قضية التزام الشاعر يتناولها مذهبان معاصران من مذاهب الأدب : هما الواقعيـــة الاشتراكية ، والوجودية ٠

ويذكر الدكتور محمد غنيمى ان الشعر فى معناه الحديث لا يتسع لما يتسع له الأدب الموضوعى من مسرحية أو قصة ، لأن الشعر فى معناه الحديث تأمل نفسى ، تمر فيـه التجـــربة من خلال النفس ، ويبعث فى قارئه ـ كما يثير فى مؤلفه ـ عواطف ومشاعر وأفكار ذاتية فى جوهرها يتخذ الشاعر ذاته محورا لها ، لا يعتمد على الحقائق الموضوعية مجردة من عواطفـــة ، وانما يعد ذاته هو معيارا لها ٠فاذا تناول العـــوالم الخارجية ، أو نظر الى بيئة نظرة شكوى أو تصويب ، فان هذا العالم ، وما فيه ومن فيه يتحولون لدى الشاعر الى حالة نفسية ٠

ويقـــول الدكتور :

ولا نقصد ـ من وراء ذلك ـ الى القول بأن الشاعر يحصر عمله فى دائرة « الذاتية » المحضة ، اذ ان مثل هذه الحالة لاتتصور الا اذا غاب فى شعوره عن كل شىء حوله ، وهو فى هذه الحالة لا يكون على وعى يمكنه من التعبير الشعرى ،ومن اثارة ما يريد من صور ايحائية ، لانه فى تعبيره التصويرى يعتمد على الأشياء والحقائق والموضوعات التى تحيط به والصور التى ينقلها فى شـــعره موجودة ولها صيغة انسانية عامة ، وقد تكون هذه الصور حقائق خارجية ذات وجود مادى أو اجتمـــاعى خارج فى الاصل عن نطاق ذاته ، وقد يحتوى الشعر على عنصر قصصى يتخذه الشاعر أساسا لتجربته الشعرية ٠ وفى كل ذلك لا تنقطع صـــلة الشاعر بالحياة والمجتمع فى تجربته الشعرية ، وقد توحى تجربته باتخاذ موقف ذى أثر كبير فى دلالته الاجتماعيـــة ، وفى هذا الموقف تتجـــلى تعبيراته التصويرية نفسها قوية مؤثرة تترجم عن آمال واسعة أو عن قلق وضيق قد يتمخضان من صراع بين الواقع الموجود والمستقبل المنشود ٠

ولكن يظل الشاعر منفردا فى تجربته عن سوقف القاص أو المسرحى لأن مسلكه مختلف عن مسلكها فالشاعر يهتم بالحقائق الكونية والاجتماعية من حيث صداها فى النفس ٠ على حين يعتمد كتاب القصصى والمسرحيات لهذه الحقائق يحللونها ، ويفسرون بمواقف شخصياتهم الأدبية ـ دواعيها وطبيعتها ، ويبينون خطرها ، ويحذرون ويشيدون ـ بوســاطة عرض الموقف وكلام الشخصيات الأدبية ـ بما قد ينتج عنها ٠

اهم الجوانب فى الدراستين :

وبعـــد ان عرضت معالجتى الاستاذين الدكتور بدوى طبـــانة ، والدكتور محمد غنيمى هلال لقضـــية الالتزام ابرز أهم الجـــوانب فى المعالجتين لنخلص من الدراستين الى تقرير ما توصلت اليه فى الالتزام الثقافى فى الادب برؤية سلامية .

تناول الأستاذ الدكتور « بدوى طبانة » للقضية :

لقد كان تناول الدكتور بدوي للقضية تناولا اخذ باطراف القضية ، واتخذ أسلوب العرض الآمين والدقيق للاقوال المتخاصمة فى القضية وخرج بحكم ضمنه نتائج دراسته لهذه القضية .

وقبل ن امسك بهذه النتيجة التى التمستها من خلال النتائج الست عشرة (لانها كذلك نتائج اتسمت بسمة العرض ـ ولعل أستاذنا لا يريد ان يفرض ما يرتضيه فى القضية خشية ان يلزم الاديب بشىء لا ينبع منه) أبرز جوانب هذه المعالجة فى النقاط الآتية :

اولا : قدم الدكتور بتعريف لغـــوى واصطلاحى للالتزام وذكر من رفع لواء هذه الكلمة .

ثانيا : وحيث ان الالتزام مرتبط بالادب ، فان قضية الإلتزام تعرف حقائقها اذا عرفنا وظيفـــة الأدب وغايته ، ولذلك حدثنا عن وظيفـــة الأدب .

فهل الادب فن للمتعة فحسب كما يراه أنصار مذهب الفن للفن ؟ ام له رسالة يؤديها كما يراه مذهب الفن للحياة ؟ .

أم ان هذا التقســيم قد ظلم الادب ، وجعـــل فى الادب تقـــابلا لا محل له ؟ :

نعم انها قسمة ضيزى : ولذلك يقرر الدكتور وجود فـــريق ثالث ، وهو الذى نراه ، ونقرره ـ أيضا ـ فاجتماع الغايتين ليس جمعـــا بين متناقضين فى التصور الاسلامى ، فان الأدب الذى تكتمل مقاييســه الفنية فسيح يثرى الحياة ، ويجد فيه القارىء أو المشاهد صدق التصـــورات ، وجمال الحقائق ، واستقامة المضمون ، انه اجتماع لجمال المعنى مع جمال التعبير الادبى .

انها نفس مسلمة ثقفت بمبادىء الاسلام وتصوراته ، وتفاعلت مع الكون والحياة فأخرجت هذه المعانى فى صياغة فنية مؤثرة . وهنا نجد الالتزام الثقافى برؤية اسلامية فى الأدب .

ولكى يستكمل الدكتور بدوى جـوانب القضـية يتناول الأديب بالحديث فيحدثنا عن حريته ، وصلة الحرية بالأدب ليفرق بين معنى الالزام ، ومعنى الالتزام .

لنصل فى النهاية الى أن الأديب الملتزم بالتصور الاسلامى لا نستطيع ان نعده مقيدا بقيود يكرهها ، ويجد نفسه مضطرا معها ، ولو كان حاله كذلك لخـرج من دائرة الالتزام الى الالزام الذى يجعـل أدبـه باهتا ضـعيفا .

انه لا يقسر على شىء اذا كان مستجيبا لمبادىء اسلامه ، وصارت لحمه ودمه ، ولذلك يكون انضباطه نابعا من حريته ، واختياره وقد يراه انسان لايلتزم بهذه الضوابط مقيدا ، والحقيقة غير ذلك انه يمارس حياته الأدبية ليسمو بنفسه ، ويسمو بغيره ، ويعيش لحظة الاستمتاع والامتاع بهذا السمو ، المثالى على الشهوات التى تورث غما وحزنا .

فأيهما المقيد ؟ أسير شهواته أم المتحرر منها لتحقيق انسـانيته فى اسمى صورها ؟ فى صـورة العبودية لله وحده حيث الحرية بأسمى معانيها .

ومع هذه الحرية يكون الصدق الأدبى ، وصدق التجربة ، وصدق المشاعر والاحاسيس .

ويوجه الدكتور معنى الكذب فى الشعر ، ثم يتناول من جوانب القضية فى معالجة معنى الالتزام الخلقى ، كما يعالج نقيضه فى الأدب المكشوف .

وبعد هذه المعالجة القيمة لقضية الالتزام يذكر الحكم فى النتائج الست عشرة ، التى استخلص منها رأيه فى الالتزام الثقافى حيث يقول فى النتيجة السابقة :

ان فكرة « الالتزام » ينبغى ان ينظر اليها نظرة أوسع واشمل من أن تكون نظرة سياسية أو مذهبية ، بحيث تشمل قضايا المنفعة ، وقضايا الحق ، وقضايا الاجتماع ، وقضـايا الدين والأخلاق ، وقد وجدت فى

تاريخ الفكر الانسانى ، بل وجدت فى تاريخ النقد الأدبى تلك الأفكار الالتزامية التى تتصل بهذه القضايا وغيرها مما يمس حياة الانســـان ويحترم عقله ويحقق كرامته وسعادته(٧١) •

وهذه النتيجة التى تقرر سعة الأدب لاستيعاب هذه القضايا التى ذكرها الدكتور بدوى تدعم ما نراه فى ذلك ، الا أن الرؤية الاسلاميـــة لا تقبل ان يكون لمفهوم الدين زاوية من هذه القضايا ، ثم تعالج القضايا الأخرى بعيدا عن هدية •

واذا صـــح هذا الأمر فى المفاهيم الغربيـــة التى حصرت الدين فى زوايا خاصة ، ولاداء مهمة صغيرة من حياة الانسان ، وجعلت القضايا الاخرى خاضعة للفكر البشرى بعيـــدا عن هداية الوحى ـ فان الرؤية الاسلامية لا تقر هذا المفهوم القاصر للدين •

ان الاسلام دين الله الذى يهدى للتى هى أقوم فى شئون الحيـــاة كلها ، فينظم حياة الناس السياسية ، وحياتهم الاقتصـــادية وحياتهم الاجتماعية ، وحياتهم الخلقية ، فى اتساق وانسجام ، ويتناول بهـذا الشمول الانسان فى جانبه المادى ، وفى جانبه العقلى ، وفى جانبه الروحى فى تناسق لا يسمح بطغيان جانب على آخر ، ولذلك فان الالتزام الثقافى بالرؤية الأسلامية التزام بالمبادىء الاسلامية ، والتصورات الاسلامية ، فى الأعمال الأدبية التى ينتجها الاديب •

وفى النتيجة السادسة عشرة يقرر الاستاذ الدكتور بدوى أنه « ليس هناك من شك فى أن الأديب يجـد مجالا ارحب لتقدير فنـه اذا استطاع ان يرضي العقول بالاضافة الى غايته الأصلية من هز المشاعر وارضاء العواطف • واذا استطاع فى سبيل تحقيق غايته الجمـــالية خدمة المثل الرفيعة التى توجه الانسانية نحو الخير ، ونحو الحياة الفاضلة الكريمة السعيدة تلقائيا من غير قسر أو الزام(٧٢) •

معالجة الأستاذ الدكتور محمد غنيمى هلال لالتزام الشعر :

وأما معالجة الدكتور « محمد غنيمى هلال » لموضوع الالتزام فقد جعله فى مجال الشعر ، لأن الشعر هو المجال الذى يدور حوله الجدل

---

(٧١) قضايا النقد الأدبى /١٣٦ •
(٧٢) قضايا النقد الأدبى /١٣٨ •

فى الصلة بين الشعر والفكر ، وبين الفكر والمجتمع ، .ولذلك يتنـــاول بالحديث عناصر الشعر ليحدد لنا عناصر الشعر الخالصة ، ومفهوم الشعر الخالص ، فى أقوال انصار مذهب الشعر للشعر ، كما يذكر عناصر الشعر غير الخالص ، والتى تتمثل فى الموضوع ، والافكار . ويتساءل هل هناك وجود للشعر الخاص من العناصر غير الخالصه ؟ليصل الى نتيجة يقرر فيها ان الشعر كلام ، وللكلام مدلول ، والا كان عبثا .

واذا كان الأمر كذلك فى الشعر ، فهل يسوى بينه وبين النثر ؟ انه يحدثنا عن الشاعر والناثر وصلتهما بالمجتمع ، ليقرر اتجاه العنصر فى الالتزام بمعنى مشاركة الشاعر قومه فى قضاياهم الانسانية والوطنية ، ولكن بطبيعة الحال لا تنسى الفوارق بين لغـة الشعر ولغـة النثر .

ومن هذه المعالجـة نستطيع ان نضع ايدينا على ما يراه الدكتور محمد غنيمى فى « التزام الشاعر » من خلال ما عرضه من أقوال حيث يقول : « ويراد بالتزام الشاعر وجوب مشاركته بالفكر والشعور والفن فى قضايا قومه الوطنية والإنسانية ، وفيما يعانون من آلام وما يبنون من آمال(٧٣) .

ومعنى ذلك انه يرى أن الشعر يتسع لهذه القضايا دون اخلال بفن الشعر ، ويكون الشاعر بعد ذلك مرتبطا بثقافته ، والتزامه بها فى عمله الشعرى ، ولذلك يقول ـ أيضا ـ :

« على ان مقومات الشعر هى السمو الفنى ، واذا تساوت قطعتان فى هذا السمو الفنى وكانت احداهما وصفا صادقا لتجربة حيونية مسفة والأخرى لتجربة انسانية عالية ، فلا شك ان للثانية فضلا على الأولى(٧٤)

ومعنى ذلك أن الفنية فى الشعر تكتسب فضلها وجمالها من اجتماع المعنى الانسانى العالى الصادق ، والتعبير الفنى الصحيح .

على ان هذا الفضل لا يتم للقطعة الأدبية الا اذا اكتسب المعنى روحه الاسلامية النقية الصافية ، وعندئذ يكون الالتزام الثقافى برؤية اسلامية متحققا .

---

(٧٣) النقد الأدبى الحديث /٤٨٤ .
(٧٤) النقد الأدبى الحديث /٤٨٤ .

كتاب الأديب والالتزام للأستاذ الدكتور « نوري حمودي القيسي » :

ومن المؤلفات التي حملت عنوان « الأديب والالتزام » كتاب للاستاذ الدكتور نوري حمودي القيسي . ولكنه سار في فصول هذا الكتاب على معنى التزام الأديب بتوظيف الأدب في خدمة الجماهير وتخليد بطوله الجماهير (٧٥) .

ولذلك نجد من عناوين الكتاب « الانســان والقضية » والالتزام والانسان والقضايا المصيرية « الالتزام والبنـــاء الاجتماعي ، والالتزام واغراض الشعر لعربي ، والالتزام والنثر ، والالتزام والنقد ، والالتزام وتاريخ الأدب ، والالتزام والاغتراب .

وتتضح ملامح المنهج الذي يسير عليه الدكتور نوري في عبـــارته السابقة ، في توظيف الأدب لخدمة الجماهير ، وخدمة قضاياهم .

ولكن باى منهج يخدمون ؟

انه يرى أن الأديب ينبغي أن يعبر عن قضـــايا وطنه المصيرية ، ومعنى ذلك ان نظرته تتفق مع من يرى الفن للحيـــاة ، وللمجتمع ، ولكن على أي أسلوب ؟ وبأي منهج .

لن نستطرد في بيان ما فصله الدكتور نوري في كتابه ، ولكن نقول : ان خدمة الجماهير في الوطن ، لا تاخذ معنى الخـدمة النافعة الا اذا قراوا أدبا لا يستهدف ارضاء الجماهير بل يستهدف السمو بهم ، وتغذية مشاعرهم بتجارب أدبية صادقة سامية تهديه برؤية اسلاميـــة صحيحة صافية .

---

(٧٥) انظر ص ٦ من الأديب والالتزام .

الخاتمـــة

وبعد تناولنا لهذا الموضوع الخطير نستطيع ان نبرز اهم النتائج التى توصلنا اليها :

* « الالتزام » كلمة تتناول الجانب الحسى والمعنوى ، ويبقى فيها معنى الالزام « حتى يصير الجانب المعنوى به ممتزجا بالنفس ، وصارت النفس متعانقة مع هذا الأمر بمـــا يصاحب هذا الاعتناق من طمانينة ، وحرارة الرضـــا به . وعندئذ يصبح معنى « الالتزام » مغـــايرا لمعنى « الالزام » .

* الأديب يعبر عن انفعاله بموقف « ما » ، وهذا الانفعال تابع لتصوراته عن الأمور ، وعن الاشياء ، وهذه التصورات للكون من حوله وللاشياء ـ مرتبطة بتكوينه الثقافى ، وما بنى عليه بناء يجعله ملتزما بهذه التصورات ، ومعبرا ـ دون تكلف ـ عن هذه الافكار التى استقرت فى وجدانه .

* اختلاف الناس فى هذه الافكار ، وفى هذه التصورات يجعـــل ما يلتزم به مختلفا ، فمضمون الالتزام عند قوم ليس هو عند اخرين .

* من مظاهر الاختلاف فيمـــا يلتزم بـــه ، ان يراد من الأديب ـ عند قوم ان يلتزم بالعناصر الفنية فيكون « الفن للفن » ، والشعر للشـــعر » .

* ويراد من الأديب عند آخرين ان يلتزم بقضـــايا مجتمعه ، وآلام أمته .

* ويراد من الأديب عند قوم ـ ان يلتزم بتصوير الواقع ، والتعبير عنه كما هو .

* ويراد منه عند آخرين ـ ان يتجاوز سوءات الواقع ليحمـــله الى الافق السامى .

* فرض الأمور السابقة الزام للأديب ، وأما « الالتزام » فانه فى ان يعيش الأديب نفسه هذه القضايا وان ينفعل بها ، وان يعبر عنها دون ان يقال له ذلك ، وان يكون الأدب نفسه صاحب فكرة اعتنقها ، وخالطت

قلبه ، وصار يصدح بها ، وان يكون الأديب ذا تصورات عن الوجود وعن يكون وعن الحياة ، لا تتخلف هذه التصورات ، وهذه الافكار اذا عبر عن اى موضوع ، واذا تكلم فى اى جانب من الجوانب.

* التزام الأديب بالثقافة الاسلامية يعنى ان الأديب قد حصل من المعارف الاسلامية الضرورية ما يكون لديه منظار خاصة ينظر به الى الأشياء ، والى الأمور .

وأن ينصهر فى الاديب ما حصله من هذه المعارف اليقينية ويصبح مزيجا متناسقا يجرى فى كيان الأدب مجرى الدم ، فلا يستطيع الأديب فى حركته الادبية ان ينفك عنه .

* الاديب الملتزم بالثقافة الاسلامية يجمع فى التزامه بين أمرين : الفكرة الصافية ، والصياغة الفنية ، وان اقتصر على جانب واحد لا نستطيع ان نلقبه بالأديب الملتزم بثقافة الاسلام ، لانه ان كان صافى الفكرة دون أن يلتزم بالتعبير الفنى الموحى لا نسميه الا مثقفا .

وان التزم بالصياغة الفنية وتناقض مع ثقافة الاسلام لا نسميه الا فنانا فى صناعة الكلام الذى يوصف بمضمونه .

* أما الأديب الملتزم التزاما ثقافيا برؤية اسلامية فهو الأديب الذى يعبر عن المفاهيم الاسلامية ، أو الأفكار الاسلامية ، أو التصورات الاسلامية الشاملة لجوانب الحياة كلها تعبيرا فنيا رائعا ، فأراه ملتزما وهو يتحدث عن العقيدة ، وأراه ملتزما وهو يتحدث عن العبادة ، وأراه ملتزما وهو يتناول علاقة الانسان بأخيه الانسان ، وأراه ملتزما عندما يعبر عن الحياة ، وعن المعاناة ، وعن فرحه ، وحزنه ، وانشراحه وغمه ، وأراه ملتزما فى وصفه ، وفى تحليله للمواقف ، وأراه ملتزما عندما يتكلم عن علاقته بالأنثى ، وعلاقته بأبنائه ، وأراه ملتزما فى وقفته امام أحداث زمنه ، وقضايا أمته ، لأنه انسان مسلم مثقف كغيره فى هذا الجانب ، ومع ثقافته أديب ينفعل ، ويستطيع اخراج انفعالاته شعرا عذبا ، أو رواية ، أو قصة ، أو مسرحية ، أو مقالا .

* لا ينبغى أن يكون لقب الالتزام لقبا مضللا فنطلقه على أديب « ما » ونجعل كل انتاجه الأدبى ملفوفا بهذا الساتر الحريرى ، بل يبقى حكمنا على الأديب كحكمنا على الانسان الذى لا تستوى أعماله كلها ، ويبقى حكم الالتزام خاصا بكل عمل على حدة .

* « الواقعية الاشتراكية » لا تفرق فى الالتزام بين الشاعر والناثر ، ولكن الالتزام عندهم ذو غاية اجتماعية واقعية محددة بحدود مسائل العصر ، وتناول واقع الناس كما هو ، وليس كما ينبغى أن يكون .

* الوجوديون يفرقون بين الشاعر والناثر فى « الالتزام » فالشاعر يستغرق فى تجربته ويراها من خلال وجدانه ، ويستعمل لغة ايحائية ليصور هذه التجربة ، وهو حر فى اختيارها ، كحريته فى طريقة تصويرها ، وتمر من خلال شعوره الفردى ، ولغتها « كثيفة » ، مقصودة لذاتها ، فلا يلتزم الشاعر بما يلتزم به الناثر .

* التزام « الواقعيين » محدود بحدود الواقع ، وهذه الحدود تحيل « الالتزام » الى الزام » .

* تفريق « الوجوديين »بين الشعر والنثر فى الالتزام لا مبرر له .

ولو اتخذت اللغة وسيلة للتفريق ، لأن النثر والشعر مرتبطان بالانسان الأديب ، والالتزام لا يصرف من مصدر واحد الى جهة ، ولا يظهر فى أخرى ، وكلا الجانبين أثر لمؤثر واحد هو ذلك الكيان الانسانى .

* التصور الاسلامى يجعل حكم ما يصدر عن الانسان فى جانبه البيانى واحد ، فالشكل التعبيرى فى الشعر لا يعطى الشاعر حرية التحلل من الالتزام « فحسن الشعر كحسن الكلام ، وقبيحه كقبيح الكلام » .

* الشعر ــ كالنثر ــ مرتبط بمضمونه ، فان كان المضمون موافقا للتصور الاسلامى ، ومراعيا للصياغة الفنية كان الالتزام الثقافى فى الأدب وهذا ينسجم مع النظرة الصحيحة لطبيعة النشاط الانسانى الذى لا يستقيم تقسيمه وتجزئته بلا مبرر معقول .

* يرى العلماء المسلمون أن المضمون الشعرى يأخذ أحكام الجواز والكراهة والتحريم .

* تحفظ الاشعار ويعنى بها اذا تضمنت الحكم والمعانى المستحسنة شرعا ، وطبعا .

* الأديب الملتزم بهذا التصور يصبح فى مجال واسع جدا لتصوير الحياة البشرية فى شتى حالاتها ومجالاتها ، وتصوير النفس البشرية فى شتى انفعالاتها وتقلباتها ، وتصوير القيم الانسانية فى شتى مستوياتها ودلالاتها .

* الإحساس بالجمال المتكامل ، والتعبير عنه من سمات الأدب الملتزم بالرؤية الاسلامية التى ترفع من قدر الانسان وتسعده .

* والنظرة الاسلامية تعطى الأديب حـــرية التعبير عن مشاعرة باعتباره انسانا مكرما مؤثرا فى غيره ، وفى محيطه الاجتماعى ليسعد ، ويسعد ، دون ضرر أو اضرار ..

* الشاعر الملتزم بالتصور الاسلامى يلتزم فى ذكره للمراة بمفهوم الاسلام فى العلاقة بينهما فيصون حياءها ، وكرامتها ، وعفتها ويصون العلاقة بينهما فى صفائها ، وقيامها على المودة والرحمة ، فان اثيرت الغزيرة الجنسية بهذه المفاهيم فان تصريفهــا سيكون فى طريقه الصحيح الذى رسمه الاسلام لهما .

* لا ينكر الحسن من الشعر احد من اهل العـلم ، ولا من أولى النهى ، وليس أحد من كبـار الصحابة وأهـل العلم وموضـع القدوة الا وقد قال الشعر ، أو تمثل به أو سمعه فرضيه ، ما كان حكمة ، أو مباحا ولم يكن فيه فحشى ولا خنا ، ولا لمسلم أذى ، فاذا كان كذلك فهو والمنثور من القول سواء لا يحل سماعه ولا قوله » .

* الالتزام الثقافى فى الأدب برؤية اسلامية يتناول الجانب الايجابى المتمثل فى بث المفاهيم الاسلامية ، وتقديمها للناس ، ويعنى كذلك عدم المخالفة لأى فكرة اسلاميـــة ، ولو كان المضمون الأدبى من المعـــانى المستحسنه طبعـــا .

هذا وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب ..

« المراجـــع »

— القــرآن الكريم

— الاتجاهات الأدبيـة فى العـالم العربى الحديث · الأستاذ أنيس المقدسى ـ ط· خامسة ١٩٧٣م دار العلم للملايين ·

— الأدب المقــارن الدكتور محمـــد غنيمى هـلال ـ ط· خامسة دار الثقافة ـ بيروت ·

— الأديب والالتزام الدكتور نورى حمـودى القيسى · جامعة بغداد كلية الآداب ـ ١٩٧٩

— أساس البلاغـة للامام جار الله أبى القاسم محمود بن عمـر الزمخشرى دار صادر ـ

— الاسعاد ، شرح « بانت سـعاد » الأستاذ مصطفى محمد عمارة ـ دار بيروت ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م · احيـاء الكتب العربيـة ١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠م ·

— أوراق الورد ، رسائلها ورسائله الأستاذ مصطفى صادى الرافعى ـ تاسعة ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م دار الكتاب العربى ـ بيروت ·

— البيان والتبيين لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (١٥٠ ـ ٢٥٥) بتحقيق وشـرح عبد السلام محمد هارون ط· ثالثة ـ الخانجى ·

— تاريخ آداب العرب الأستاذ مصطفى صادق الرافعى ـ دار الكتاب العربى بيروت ط· رابعة ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م ·

— « الترغيب والترهيب » مـن الحديث الشريف للحافظ أبى محمـد زكى الديـن عبد العظيم ابن عبد القوى المنذرى (٥٨١ ـ ٥٦٥ هـ) ضبط أحاديثه مصطفى محمد عمارة · ط· ثالثة ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م دار احيـاء التراث العربى

- الجامع لأحكام القرآن — لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القربى مصورة عن طبعة دار الكتب — الناشر دار الكاتب العربى بالقاهرة — ١٣٨٧هـ — ١٩٦٧م ٠
- ديوان امرىء القيس — تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط٠ ثالثة دار المعارف بمصر ٠
- ديوان البارودى — لمحمود سامى البارودى باشا حققه وشرحه على الجارم ومحمد شفيق معروف — دار المعارف بمصر ١٣٩١هـ — ١٩٧١م ٠
- ديوان حسان بن ثابت — حققه وعلق عليه الدكتور وليد عرفات فى جزئين دار صادر بيروت ١٩٧٤م ٠
- ديوان مجد الاسلام — أحمد محرم — حققه وراجعه محمود أحمد محرم ط٠ أولى ١٤٠٢هـ — ١٩٨٢م — مكتبة الفلاح — الكويت ٠
- سنن الترمذى — لأبى عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى ٢٠٩ — ٢٧٩ تعليق عزت عبيد الدعاس ٠ ط٠ أولى بمطابع الفجر الحديثة — حمص ١٣٨٧ — ١٩٦٧م ٠
- الشعر الاسلامى فى صدر الإسلام — الدكتور عبد الله الحامد ط٠ أولى ٠
- صحيح مسلم — بشرح النووى ط٠ أولى ١٣٤٩ — ١٩٣٠ — المطبعة المصرية بالأزهر ٠
- العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده — لأبى على الحسن بن رشيق القيروانى الازدى ٣٩٠ — ٤٥٦ تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد — دار الجيل — بيروت ط٠ رابعة ١٩٧٢م ٠

ـ الفن ومذاهبه فى الشعر العربى	الدكتور شوقى ضيف ط. ثامنة دار المعارف بمصر .
ـ فى الأدب الحديث	الدكتور عمر الدسوقى ط. ثامنة ـ دار الفكر ١٩٧٣م .
ـ فى التاريخ فكرة ومنهاج	الأستاذ سيد قطب ـ دار الشروق ط. أولى ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م .
ـ فى النقد الأدبى	الدكتور شوقى ضيف ـ دار المعارف بمصر ١٩٦٢ .
ـ قضايا النقد الأدبى	الدكتور بدوى طبانة ـ مكتبة الانجلو المصرية ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م
ـ كتب وآراء	الدكتور محمد بن سعد بن حسين ط. أولى ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .
ـ لسان العرب	لابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الانصارى (٦٣٠هـ ـ ٧١١هـ) طبعة مصورة عن طبعة بولاق ـ الدار المصرية للتأليف والترجمة .
ـ مع الأدب الاسلامى	الدكتور أحمد جاد ـ ط. أولى ١٤٠٢هـ .
ـ معجم المصطلحات العلمية والفنية عربى ـ فرنسى ـ انجليزى ـ لاتينى	اعداد وتصنيف يوسف خياط ـ دار لسان العرب ـ بيروت .
ـ المعجم الوسيط	قام باخراجه ابراهيم مصطفى ، وأحمد حسن الزيات ، وحامد عبد القادر ، ومحمد على النجار ، وأشرف على طبعة عبد السلام هارون .
ـ معلقات العرب دراسة نقدية تاريخية فى عيون الشعر الجاهلى .	الدكتور بدوى طبانة ـ دار الثقافة بيروت ط. ثالثة ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م

- منهج الفن الإسلامي — الأستاذ محمد قطب — دار الشروق ١٣٩٣هـ — ١٩٧٣م •
- النقد الأدبي أصوله ومناهجه — الأستاذ سيد قطب — دار الشروق •
- النقد الأدبي الحديث — الدكتور محمـــد غنيمي هلال ط• أولى ١٩٨٢ — دار العودة — بيروت
- نقـد الشعر — لأبي الفرج قدامة بن جعفر — تحقيق كمال مصطفى ط• ثالثة — مكتبـــة الخانجي •

الفهرست

الصفحة

الصفحة

رقم الايداع ٨٧/٨٣٧٥

دار وهدان للطبـاعة والنشر
٦ ميدان بركة الرطلى
تليفون : ٩٠٥٠٣٦ — ٩٢١٤٤٤